سلسلة تفريغات شبكة بينونة

شرح رسالة
كلمة الإخلاص

للإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي

رحمه الله تعالى

الشيخ حامد بن خميس الجنيبي

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@baynoona.net
@baynoonanet
@baynoonanet
@baynoonanetUAE
www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لشرح كتاب

كلمة الإخلاص

للإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي

- رحمه الله -

للشيخ

حامد بن خميس الجنيبي

- حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقدِّمة الشارح:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمدلله نحمدهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وحده لا شريك له، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم.

وبعد أيها الأحبة ...

فأحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة هذه المجالس التي جمعني وإياكم بها، وأسأله سبحانه وتعالى أن يسدد أقوالي وأعمالي، وأن يجعلني وإياكم ممن إذا أُعْطِي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر.

إن أعظم النعم التي ينعم الله سبحانه وتعالى بها على عباده؛ هي تلك النعمة التي يحصل بها للعبد سعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام والسنة؛ نعمةُ أن جعل الله سبحانه وتعالى هذا العبد على دين الإسلام، على دين الإخلاص، على شهادة أن لا إله إلا الله، ونعمةُ أن يكون العبد مُتَّبِعًا لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكما قال بعض السلف: «مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ عَلَيَّ أَعْظَمُ: أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أَوْ عَافَانِي مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ[١]».

فنعمة الإسلام والتوحيد، ونعمة سلوك طريق السنة، نعمة يَفْتَقِر إليها كل مخلوق، وكل إنسان، والله سبحانه وتعالى قد خلق الخلق لعبادته، واتباع أمره الذي أمر به سبحانه وتعالى فيما يتحقق به توحيده عز وجل.

وهذا يُعرف بأن الله سبحانه وتعالى ذو الحكمة الواسعة الكاملة، وهو أعلم سبحانه وتعالى بما يكون فيه صلاح العباد، وكذا هو عالم سبحانه وتعالى بحاجات العباد، وَفَقْر العباد إلى مولاهم سبحانه وتعالى، فالعبد فقره إلى ربه سبحانه وتعالى فقر دائم لا ينفك عنه، والله سبحانه وتعالى غِناه دائم لا ينفك عنه، وقد قال الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله وَالله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} فاطر (١٥).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته، الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته، والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم، وبرؤيته فى الآخرة تقر عيونهم، ويتم نعيمهم، فلا يعطيهم فى الآخرة شيئاً خيراً لهم ولا أحب إليهم، ولا أقر لعيونهم، ولا أنعم لقلوبهم: من النظر إليه، وسماع كلامه منه بلا واسطة. ولم يعطهم فى الدنيا شيئا خيرا لهم ولا أحب إليهم، ولا أقر لعيونهم من الإيمان به، ومحبته والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه، والتنعم بذكره[٢]»

١- أخرجه الدارمي "عن مُجاهد" (٣١٧).

٢- انظر: "إغاثة اللهفان" (١/٢٨).

قال الله سبحانه: {وَإِن يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} يونس (١٠٧).

فالله سبحانه وتعالى قد خلق العباد على الفطرة، وعلى دين التوحيد لله سبحانه وتعالى، كانوا على ذلك قرون حتى نَبَتَ فيهم ما نبت من مخالفة التوحيد، وملابسة التنديد فيما جاء في قوم نوح عليه الصلاة والسلام، وكذلك لمّا حصلت دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام وانتشرت فكان هنالك بقايا من دعوة إبراهيم، ومن دعوة موسى عليه الصلاة والسلام، ومن دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام.

قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا[١]».

وَرَبُّنا سبحانه وتعالى قد حذّر أشد التحذير من الشرك، والوقوع فيه، فقال سبحانه وتعالى: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ(٣٠) حُنَفَاءَ للهَّ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)} الحج.

قال العلامة ابن جرير الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان، وقول الشرك، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئا من دونه، فإنه من يُشرك بالله شيئا من

١- أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

دونه، فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحقّ وهلاكه وذهابه عن ربه، مَثل من خرّ من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به الريح في مكان سحيق[1]».

ونحن أيها الأحبة، بين أيدينا هذه الرسالة القيمة في بيان هذا المعنى العظيم، الذي يتعلق بإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، وتفسير هذا المعنى، وكيفية تحقيقه، وهو ما يفتقر إليه كل عبد من العباد ولا ينفك، وهو أعظم الحاجات، وأعظم معاني الفقر التي جعلها الله سبحانه وتعالى لزامًا لكل مخلوق من الإنس والجن؛ أن يكون محتاجاً إلى ربه سبحانه، فأعظم ذلك وَأَوَّلُهُ وَأَوْلاه؛ ذلك الإيمان الذي رأسه إخلاص الدين لله سبحانه وتعالى.

ولعلنا نشرع في المقصود نسأل الله سبحانه وتعالى السداد والإعانة.

١- انظر: "تفسير الطبري" (١٨/ ٦٢٠).

- المتـن:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين.

خرج الْبُخَارِيّ وَمُسلم فِي الصَّحِيحَيْنِ عَن أنس رَضِي الله عَنهُ قَالَ كَانَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ومعاذ رديفه على الرحل فَقَالَ يَا معَاذ قَالَ لبيْك يَا رَسُول الله وَسَعْديك قَالَ يَا معَاذ قَالَ لبيْك يَا رَسُول الله وَسَعْديك قَالَ مَا من عبد يشْهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله إِلَّا حرمه الله النَّار قَالَ يَا رَسُول الله أَلا أخبر بهَا النَّاس فيستبشروا قَالَ إِذاً يتكلوا فَأخْبر بهَا معَاذ عِنْد مَوته تأثما.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَن عتْبَان بن مَالك رضى الله عَنهُ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ إِن الله حرم على النَّار من قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله يَبْتَغِي بذلك وَجه الله.

وَفِي صَحِيح مُسلم عَن أبي هُرَيْرَة أَو أبي سعيد بِالشَّكِّ أَنهم كَانُوا مَعَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي غَزْوَة تَبُوك فَأَصَابَتْهُمْ مجاعَة فَدَعَا النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بنطع فبسطه ثمَّ دَعَا بِفضل أَزْوَادهم فَجعل الرجل يَجِيء بكف ذرة وَيَجِيء الآخر بكف تمر وَيَجِيء الآخر بكسرة حَتَّى اجْتمع على النطع من ذَلِك شَيْء يسير فَدَعَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بِالْبركَةِ ثمَّ قَالَ خُذُوا فِي أوعيتكم فَأخذُوا فِي أوعيتهم حَتَّى مَا تركُوا فِي الْعَسْكَر وعَاء إِلَّا ملؤوه فَأَكَلُوا حَتَّى شبعُوا وفضلت فضلَة فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُول الله لَا يلقى الله بهما عبد غير شَاك فيهمَا فيحجب عَن الْجنَّة.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، عَن أبي ذَر رَضِي الله عَنهُ، عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: مَا من عبد قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله ثمَّ مَاتَ على ذَلِك إِلَّا دخل الْجنَّة قلت وَإِن زنى وَإِن سرق قَالَ وَإِن

زنى وَإِن سرق قلت وَإِن زنى وَإِن سرق قَالَ وَإِن زنى وَإِن سرق ثَلَاثًا ثمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَة على رغم أنف أبي ذَر قَالَ فَخرج أَبُو ذَر وَهُوَ يَقُول وَإِن رغم أنف أبي ذَر.

وَفِي صَحِيح مُسلم عَن عبَادَة بن الصَّامِت أنه قَالَ عِنْد مَوته سَمِعت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَقُول: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، حَرَّمَ الله عَلَيْهِ النَّارَ»[1].

وَفِي صَحِيح مُسلم عَن عبَادَة بن الصَّامِت أَنه قَالَ عِنْد مَوته: سَمِعت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَقُول: من شهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ وَأَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله وَأَن عِيسَى عبد الله وَرَسُوله وكلمته أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَم وروح مِنْهُ وَأَن الْجنَّة حق وَالنَّار حق أدخلهُ الله الْجنَّة على مَا كَانَ من الْعَمَل»[2]. وفي هذا الْمَعْنى أَحَادِيث كَثِيرَة يطول ذكرهَا.

***

- الشــرح:

المصنف رحمه الله تعالى رحمة واسعة صَدَّر هذه الرسالة بذكر جُمْلَة من الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي تشهد بفضل كلمة الإخلاص، وكلمة التوحيد، والإخلاص في اللغة تقول: خلص الشيء، يخلص خلوصًا؛ أي صار خالصًا، والخالص هو الصافي النقي، ولذا يُقال: الخالص من الأشياء ما صفى وَنَصَعْ، وتقول: خلص الماء إذا صفى من الكدر، قال الله تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي

١- أخرجه: مسلم (٢٩).

٢- أخرجه: البخاري (٣٤٣٥)واللفظ له، ومسلم (٢٨) ولفظه: أَدْخَلَهُ الله مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ.

بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ} النحل (٦٦). أي صافيًا من الفرث والدم.

وأما في الشرع: فالإخلاص تصفية القلب من قصد غير الله تعالى، أو قصد غيره معه، وسلامة القلب من أي إرادة تعارض الإخلاص، "والمُخْلَصُ" بفتح اللام؛ الذي أخلصه الله، أي جعله مختارًا خالصًا من الشرك والدنس، "والمُخْلِصُ" بكسر اللام؛ الذي وَحَّد الله تعالى.

ومن تفسير كلمة الإخلاص في الشرع تَعْلَمُ سبب تسمية سورة: (قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ) بسورة الإخلاص.

ومن الأحاديث التي صدَّرها المصنف رحمه الله تعالى: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وفي آخره قال: "فَأَخْبر بهَا معاذ عِنْد مَوته تأثما[١]"؛ أي خشية الإثم.

ثم ذكر حديث عتبان رضي الله عنه[٢]، وبعده حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه قال: "أَو أبي سعيد بِالشَّكِّ"؛ والشك هنا من الأعمش، وصوابه؛ أنه من حديث أبو هريرة رضي الله عنه، كما جاء عند مسلم من طريق: «طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٣]»

١- أخرجه: البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

٢- أخرجه: البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

٣- أخرجه مسلم (٢٧).

"فَدَعَا النبي صلى الله عليه وسلم بِنِطَعٍ": النِّطْعُ فِيهِ أَرْبَعُ لُغَاتٍ: «نِطْعٌ»؛ كَدِرْعٍ، وَ «نَطْعٌ»؛ كَطَلْعٍ، وَ «نَطَعٌ»؛ كَتَبَعٍ، وَ «نِطَعٌ»؛ كَضِلَعٍ. والجمع: نُطُوعٌ، وأنطاع؛ وهو شيء من الجلد يبسط فيوضع عليه الطعام، أو يستخدم أيضًا إذا أقيمت الحدود خشية انتثار وانتشار الدم.

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم "عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ[1]": الرغم؛ الذل والهوان والكره، يقال: رغم الشيء إذا كرهه، وقول القائل: رغم أنف فلان؛ أي أهين ووضع في التراب.

هذه الأحاديث، كما سيأتي كلام المصنف رحمه الله تعالى، أحاديث عامة، منها ما يتعلق بدخول الموحِّد الجنة بلا إله إلا الله، ومنها ما يتعلق بتحريم النار على الموحد بلا إله إلا الله، وهنا مقدمة لابد من ذكرها:

اعلم أولًا أن أهل السنة قد اتفقوا على أن الإيمان لا يكون بمجرد التصديق، بل لا بُدَّ وأن يكون التصديق مُسْتَلْزِمًا للطاعة والانقياد، وتفصيل هذا أن الله سبحانه وتعالى أمر العباد بقول وعمل.

- فالقول نوعان:

- الأول: قول القلب وهو اعتقاد القلب.
- الثاني: قول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

١- أخرجه: البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

- والعمل نوعان:

- الأول: عمل القلب؛ وهو الإخلاص لله، والنية، والخوف، والرجاء، والمحبة، والتوكل، والاستعانة، والخشوع، والذل، والتعظيم، إلى غير ذلك من أعمال القلب.

- الثاني: فهو عمل الجوارح؛ كالصلاة، والصيام، والحج، والصدقة، وبر الوالدين، إلى آخره.

وأهل السنة يقولون: إن القلب هو موضع أصل الإيمان كما قال الله سبحانه وتعالى: {أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ} المجادلة (٢٢). وقال سبحانه:{رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} آل عمران (٨). وقال سبحانه:{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ }المائدة (٤١). وقال سبحانه:{فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} الأعراف (١٠١).

وقال سبحانه:{فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ} التوبة (٧٧). فهذا كله يدلُ على أن أصل الإيمان يكونُ في القلب.

وأما فيما يتعلق بعمل القلب وهو الذي ذكرنا من الإخلاص والنية والصدق والاستعانة والتوكل إلى آخره، قال الله سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} الأنفال (٢). فَوَجَلُ القلب عمل له، وقال سبحانه: {اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} الزمر (٢٣).

فهذه الخشية وهذا اللِّين إلى ذكر الله سبحانه وتعالى هو من عمل القلب، وقال سبحانه: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} محمد (٢٤). وهذا التدبر من عمل القلب.

وتأمل فيما قال الله سبحانه وتعالى عن فرعون وقومه: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} النمل (١٤). فأخبر سبحانه وتعالى بوجود التصديق في قلب فرعون وقومه، مع انتفاء عمل القلب، وعمل الجوارح، وقول اللسان بذلك.

وكذلك لا بد من قول اللسان؛ فلابد من النطق بالشهادة، ويلزم العبد أن يُعْلِن بالشهادة، فإن الإعلان بها من لوازم تصديق القلب، فإذا امتنع العبد من الإعلان بلسانه بشهادة أن لا إله إلا الله كان ذلك دليلًا وعلامة على امتناع أن يكون ذلك الإيمان قد وقر في القلب، قال الله سبحانه وتعالى: {يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} الفتح (١١).

ولا بد أن يكون هذا الإعلان باللسان موافقًا لما في القلب، قال الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ} المائدة (٤١).

وكذلك لا بد من عمل الجوارح؛ وهي الأعضاء كاليدين والرجلين والنظر وغير ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} الكهف (١١٠).

وما ذكرته في هذه المقدمة هو معنى تعريف أهل السنة للإيمان بقولهم: الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقاد، وكذلك معنى قول أهل السنة: اعتقاد القلب وعمله لا بد وأن يلزم منه عمل اللسان والجوارح، وهو ما يُعرف بالتلازم بين الظاهر والباطن، فمن كان من أهل

الإيمان وقد وقر الإيمان في قلبه فلا بد وأن يُصَدِّق ذلك الإيمان الذي في القلب عمله؛ فيعمل بما قد وقر في قلبه، ومن وقر في قلبه الكفر والعياذ بالله فلا بد وأن يظهر على لسانه، وعلى عمله أعمال الكفر والشرك، نسأل الله السلامة والعافية.

فاعقل هذا المعنى يُخَلِّصُكَ من كثيرٍ من الورطات التي قد تورط بها من لم يفهم ويعقل ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه، وما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في سنته.

أَخْرَجَ ابن الجعد في مسنده من طريق عبد الرزاق قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ، وَابْنَ جُرَيْجٍ وَمَعْمَرًا يَقُولُونَ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ» ، فَقِيلَ لِعَبْدِ الرَّزَّاقِ: مَا تَقُولُ أَنْتَ: قَالَ: وَمَا قَوْلِي؟ قَالَ: مَا لَقِيتُ بِهِ أَحَدًا بِهِ طَرَقَ إِلَّا هَذَا قَوْلُهُ[١].

وهذا الذي ذكرته: هو اعتقاد سائر الأئمة والفقهاء من أهل السنة مثل؛ مالك بن أنس، والشافعي، وأحمد، ومَعْمَر، وعبدالرزاق، والأوزاعي، والليث بن سعد، وحَمَّاد بن سلمة، وحَمَّاد بن زيد، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، ووكيع بن الجراح، وابن جريج، ومالك بن مغول، والفضيل بن عياض، وابن المبارك، ويحيى القطان، والوليد بن مسلم، ويزيد بن السائب، والنضر بن شميل، والبخاري، ومسلم، وأبي داوود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحُميدي، واسحاق بن راهويه، وغيرهم خلق كثير من علماء الإسلام وأئمة الإسلام، وفقهاء الإسلام.

هذه المقدمة حول ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من هذه الأحاديث التي فيها نوع إجمال قد تُفهم على غير معناها عند من لم يتبصَّر بمعاني الكتاب والسنة.

١- أخرجه ابن الجعد في: "مسنده" (١٨٦١).

ولذا ترى أنه قد يشتهر على ألسنة كثير من العامة قولهم: "لا يضر مع التوحيد ذنب، كما لا يضر مع الشرك حسنة!" وهذا القول يبطل كثيرًا من نصوص الشرع، كقوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء (٤٨). فأخبر سبحانه وتعالى أن من الذنوب ما قد يُغفر، وأن منها ما قد لا يغفره سبحانه وتعالى؛

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ قَدْ تَعَلَّقَ بِنُصُوصٍ مِنَ الرَّجَاءِ، وَاتَّكَلَ عَلَيْهَا وَتَعَلَّقَ بِهَا بِكِلْتَا يَدَيْهِ وَإِذَا عُوتِبَ عَلَى الْخَطَايَا وَالِانْهِمَاكِ فِيهَا، سَرَدَ لَكَ مَا يَحْفَظُهُ مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ الله وَمَغْفِرَتِهِ وَنُصُوصِ الرَّجَاءِ، وَلِلْجُهَّالِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ غَرَائِبُ وَعَجَائِبُ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ:

وَكَثِّرْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْخَطَايَا ... إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى كَرِيمٍ"[1].

- المتـن:

وَأَحَادِيث هَذَا الْبَاب نَوْعَانِ: أَحدهمَا مَا فِيهِ أَن من أَتَى بِالشَّهَادَتَيْنِ دخل الْجنَّة وَلم يحجب عَنْهَا وَهَذَا ظَاهر فَإِن النَّار لَا يخلد فِيهَا أحد من أهل التَّوْحِيد الْخَالِص وَقد يدْخل الْجنَّة وَلَا يحجب عَنْهَا إِذا طهر من ذنُوبه بالنَّار.

وَحَدِيث أبي ذَر مَعْنَاهُ أَن الزِّنَى وَالسَّرِقَة لَا يمنعان دُخُول الْجنَّة مَعَ التَّوْحِيد وَهَذَا حق لَا مرية فِيهِ لَيْسَ فِيهِ أَنه لَا يعذب عَلَيْهِمَا مَعَ التَّوْحِيد.

---

١ - انظر: "الجواب الكافي" لابن القيم (١/ ٢٢).

وَفِي مُسْند الْبَزَّار عَن أبي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ مَرْفُوعا من قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله نَفعته يَوْمًا من دهره يُصِيبهُ قبل ذَلِك مَا أَصَابَهُ.

الثَّانِي مَا فِيهِ أَنه يحرم على النَّار وَهَذَا قد حمله بَعضهم على الخلود فِيهَا أَو على نَار يخلد فِيهَا أَهلهَا وَهِي مَا عدا الدرك الْأَعْلَى، فَأَما الدَّرك الْأَعْلَى يدْخلهُ خلق كثير من عصاة الْمُوَحِّدين

بِذُنُوبِهِمْ ثمَّ يخرجُون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرْحم الرَّاحِمِينَ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ إِن الله تعالى يَقُول وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لأخْرجَن من النَّار من قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله.

وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث؛ أن لا إله إلا الله سبب لدُخُولِ الجنَّة والنجاةِ من النَّار، ومُقْتَضٍ لذلك، ولكنَّ الـمُقْتَضِي لا يعمل عمله إلا باستجماع شُرُوطه وانتفاء موانعه فقد يتَخَلَّف عنه مُقْتَضَاهُ لِفَوَاتِ شَرطٍ من شُروطه أَو لوُجود مانع، وهذا قول الحسن ووهب بن مُنَبّه، وهو الأَظهر.

- الشــرح:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أَوْرده المصنف رحمه الله هنا؛ أخرجه البزار وقال: وَهَذَا الْحَدِيثُ لاَ نعلمُهُ يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم إلاَّ مِنْ هَذَا الوجه بهذا الإسناد، ورواه عيسى بن يونس عن الثَّورِيّ، عَن منصور أيضا فتابعه على مثل هذه الرواية وقد رُوِيَ هذا الحديث حصين بن عَبد الرَّحمَنِ، عَن هلال بن يساف والأغر، عَن أَبي هُرَيرة موقوفًا ومنصور أحفظ من حصين[1]. وكذلك أخرجه ابن حبان[1]، والطبراني في الأوسط[2]، وأبو

١- أخرجه البزار في: "المسند" (٨٢٩٢).

نعيم في الحلية[٣]، والبيهقي في الشعب[٤]، وقال الهيثمي: رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالصَّغِيرِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ[٥]. أقول: والحديث صححه ابن حبان، والألباني[٦]، وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في موضع آخر.

نَبَّهَ المصنف رحمه الله تعالى تنبيهًا مهمًا في فهم الأحاديث المتعلقة بكلمة الإخلاص، فيقول رحمه الله تعالى: "أَحَادِيث هَذَا الْبَاب نَوْعَانِ" ويعني بذلك؛ الباب الذي فيه إطلاق أن شهادة أن لا إله إلا الله تدخل العبد الجنة أو تحجب العبد من النار.

- النوع الأول من هذه الأحاديث: أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة أو لم يُحجب عن الجنة، كما مر معنا من الأحاديث.
- النوع الثاني من هذه الأحاديث: ما فيه أنَّه يُحرَّم على النار.

• ففي هذه الأحاديث صورتان:

- الصورة الأولى: أن أهل التوحيد الخالص يدخلون الجنة مباشرة دون سابقة عذاب.
- الصورة الثانية: أن يكون دخول الجنة بعد سابقة عذاب؛

١- أخرجه ابن حبان (٣٠٠٤).

٢- أخرجه الطبراني في: "الأوسط" (٦٣٩٦).

٣- أخرجه أبو نعيم في: "الحلية" (١٠/ ٣٩٧).

٤- أخرجه البيهقي في: "الشعب" (٩٦).

٥- انظر: "مجمع الزوائد" للهيثمي (١/ ١٧).

٦- انظر: "السلسلة الصحيحة" للألباني (٣/ ٣٠٠)، والحديث رقم: (١٩٣٢).

فيدخل النار بسبب غلبت ذنوبه على حسناته وطاعته، فيدخل النار وَيُطَهَّر من تلك الذنوب، كما في عدة أحاديث منها؛ حديث الشفاعة الطويل وفيه: حَتَّى إِذَا فَرَغَ الله مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلاَمَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ الله عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ"[١]. .. الحديث. فهاتان صورتان ذُكرت في هذه الأحاديث.

وحتى نطرح شيئًا من البيان فيما يتعلق بهذه الأحاديث نقول:

إن أهل السنة قد أجمعوا على أن شهادة التوحيد لها شروط؛ يتحصل بها ما وعد الله سبحانه وتعالى به، وفي المقابل فضدها موانع؛ تمنع من حصول ما وعد الله سبحانه وتعالى به.

وهذه الشروط قد دل عليها الكتاب والسنة، وعلى وجوب اعتقادها، والعمل بها، وإن كان لا يلزم العبد أن يحفظها حفظًا، ولكنه مُلْزَم بأن يأتي بها، قال شيخ مشايخنا العلامة الحافظ الحكمي رحمه الله تعالى في نظمها:

العِلْـمُ وَاليَقِيـنُ وَالقَبـولُ *** وَالِانْقِيَـادُ فَادْرِ مَا أَقُـولَ

وَالصِـدْقُ وَالإِخْلاَصُ وَالمَحَبَّة *** وَفَّقَـكَ الله لِمَا أَحَبَّهُ

فشروط شهادة التوحيد سبعة شروط:

- العِلْـمُ.

١- أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

- اليَقِيـنُ.
- القَبـولُ.
- الإِنْقِيَادُ.
- الصِـدْقُ.
- الإِخْلاَصُ.
- المَحَبَّـــةِ.
- وزاد بعض أهل العلم الثامن وهو: الكفران بغير الله سبحانه وتعالى أن يُعبد.

وأما أدلة هذه الشروط، على اختصار:

دليل العلم: قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الله } محمد (١٩)؛ فأمر سبحانه وتعالى بالعلم بأنه لا إله إلا الله، وهذا يستلزم العلم بمعناها، وما يتحصل تحقيقها به[١].

دليل اليقين: فقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا } الحجرات (١٥)؛ فلا يجوز أن يخالط إيمانك بالله سبحانه وتعالى شك فيه عز وجل، قال الله تعالى: {أَفِي الله شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} ابراهيم (١٠).[٢]

١- وأخرج مسلم في: "صحيحه" (٢٦): عَنْ عُثْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، دَخَلَ الْجَنَّةَ».

٢- وقال تعالى: (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) التوبة (٤٥). وأخرج مسلم في: "صحيحه" (٢٧): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عن النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنِّي رَسُولُ الله، لَا يَلْقَى الله بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

دليل القبول: قوله تعالى في المشركين: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا الله يَسْتَكْبِرُونَ} الصافات (٣٥)؛ فلم يقبلوا شهادة أن لا إله إلا الله.(١)

دليل الانقياد: فقوله سبحانه: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} النساء (٦٥)؛ فنفى سبحانه وتعالى حقيقة الإيمان، وأقسم سبحانه وتعالى على ذلك، وختم الآية بقوله: {وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}(٢).

دليل الصدق: قوله سبحانه وتعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)} العنكبوت.(٣)

دليل الإخلاص: قول الله سبحانه وتعالى: {فَاعْبُدِ الله مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} الزمر (٢).(٤)

١- وأخرج البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢): عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»

٢- وقال تعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَه) الزمر (٥٤).

٣- وقال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِالله وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ الله مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ(١٠). البقرة.

٤- وقال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِالله وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ للهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) النساء (١٤٦).

دليل المحبة: قوله سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ الله أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا وَأَنَّ الله شَدِيدُ الْعَذَابِ} البقرة (١٦٥).

وهذه أيها الأحبة كلها شروط لشهادة؛ أن لا إله إلا الله، إمّا لصحتها، أو لكمال مقتضاها الواجب، أو الكمال المستحب، فكل هذه الشروط داخلة في أصل اعتقاد شهادة أن لا إله إلا الله، وداخلة في الكمال الواجب، وداخلة في الكمال المستحب.

وفي المقابل فإن أهل السنة يقولون: هنالك موانع؛ تمنع من صحة شهادة أن لا إله إلا الله، أو تمنع كمال إيمان العبد الواجب، أو تمنع كمال إيمانه المستحب.

فنواقض الإيمان كالشرك بالله سبحانه وتعالى، وسب الرب والعياذ بالله، أو سب النبي صلى الله عليه وسلم، أو إهانة المصحف، أو غير ذلك من الأمور العظام؛ تنافي أصل الإيمان. والمعاصي والذنوب؛ تنافي كمال الإيمان الواجب. والعمل بالمكروهات وترك المستحبات؛ يمنع كمال الإيمان المستحب.

يضاف إلى هذا المعنى أصل عظيم توسط فيه أهل السنة بين الخوارج والمعتزلة من جهة، وبين المرجئة من جهة أخرى؛ فالخوارج والمعتزلة، يقولون: بخلود صاحب المعصية في نار جهنم، وهذا قول تُبْطِلُهُ نصوص الشرع.

فالخوارج يقولون: الذي يعصي الله سبحانه وتعالى كافر، ويخلدونه في نار جهنم.

وأما المعتزلة فيقولون: نعامله في الدنيا بمعاملة أهل الإسلام، ولكنه إن مات على ذلك فهو خالد مخلد في نار جهنم.

ودلت نصوص الشريعة على بطلان كلا القولين.

أمَّا المرجئة؛ وهم الذين يقولون: إيمان عامة الناس كإيمان جبرائيل عليه السلام، وكإيمان النبي صلى الله عليه وسلم، وكإيمان أبي بكر، وكإيمان عمر، وكإيمان علي، وعثمان، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم!. وهذا كله خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة.

وأما أهل السنة فيتوسطون في ذلك فيقولون: أن العبد إذا حقق الإيمان الذي أمر الله سبحانه الله وتعالى به، ثم خالط هذا شيء من المعاصي والذنوب؛ فهو إما أن يتوب في الدنيا، وإما أن يرجى في الآخرة فيدخل تحت مشيئة الله تعالى فيغفر له إن شاء أو يطهره سبحانه وتعالى من تلكم الذنوب والمعاصي، ثم يدخل الجنة، فلا يخلد في النار ما لم تكن تلك الذنوب من الذنوب التي تنافي أصل الإيمان وتخرج العبد من دائرة أهل الإيمان إلى دائرة أهل الكفر والعياذ بالله سبحانه وتعالى.

نختم هنا بنقولٍ من بعض أهل العلم:

قال البيهقي رحمه الله تعالى في كتاب الاعتقاد: ((وَقَدْ يُعَاقِبُ بَعْضَهُمْ عَلَى مَا اقْتَرَفَ مِنَ الذُّنُوبِ ثُمَّ يَعْفُو عَنْهُ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِإِيمَانِهِ؛ لِقَوْلِهِ {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف: ٣٠] وَقَوْلُهُ {إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٠]))[1].

---

١ – انظر: "الاعتقاد" للبيهقي (١/ ١٨٦).

وقال العلامة ابن العطار الشافعي: وأما أهل الكبائر فهم داخلون تحت المشيئة، ولا يخلدون في النار؛ إلا أن يكونوا معتقدين لحل الكبائر، فيكفروا، ويخلدوا فيها[١]. اهـ رحمه الله من كتاب "الاعتقاد الخالص".

وقال العلامة أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني الشافعي: ويعتقد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة لا يدري أحد بما يُختم له ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة ولا يحكمون على أحد بعينه أن ذلك من أهل النار، لأن ذلك مغيب عنهم[٢]. اهـ رحمه الله من كتابه في الاعتقاد.

وقال العلامة أبو الحسين يحيى العمراني الشافعي: ((ومذهب أهل السنة أن الموحدين لا يكفرون بفعل شيء من المعاصي الصغائر والكبائر، وإذا عملوا الكبائر وتابوا لم تضرهم وإن ماتوا قبل التوبة منها فأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم عليها وإن شاء غفرها لهم، وإن عذب العباد على الصغائر لم يكن ظالما لهم بذلك.

وقالت المرجئة: "لا يوصف الله بأنه يعذب عباده على ذنب غير الكفر".

وقالت الخوارج: "من أذنب متعمدا كفر بالله سواء فعل صغيرة أو كبيرة".

وقالت المعتزلة والقدرية: "لا يجوز أن يعذب الله العباد على الصغائر وإن عذبهم عليها ظلمهم، ومن فعل كبيرة فإنه يخلد في النار، ولا يوصف الله بأنه يغفر الكبائر[٣]")).

١- انظر: "الاعتقاد الخالص" لابن العطار (١/ ٣٩٩).

٢- انظر: "عقيدة السلف أصحاب الحديث" للصابوني. وذكر ذلك أيضاً: ابن العطار في: الاعتقاد الخالص (٢٥٢).

٣- انظر: "الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الاشرار" للعمراني (٣/ ٦٦٦).

ولا شك أن هذا كله من المقالات الباطلة، المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أعني ما قاله عن: المرجئة، وعن الخوارج، وعن المعتزلة؛ فأهل السنة دائمًا وسط بين تلك الفرق التي حادت عن كتاب الله سبحانه وتعالى، وعن سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

قد ذكرنا تعريف الإخلاص، وذكرنا أن حقيقته في الشرع: تصفية القلب من قصد غير الله تعالى، أو قصد غيره معه، وسلامة القلب من أي إرادة تعارض الإخلاص.

والجملة الأخيرة في تعريف الإخلاص هي من الدقائق التي قَلَّما يلتفت إليها، وكثيرًا ما يحصل الخلل عند من ينتسب إلى التَّدَيُّن، بل من ينتسب إلى طلب العلم، في هذا الشطر من تعريف الإخلاص، وهو سلامة القلب من أي إرادة تعارض هذا الصفاء، وهذا النقاء، كالعُجب، ومحبة الثناء، ويَعْظُمُ ذلك إذا كان العبد يعاين من نفسه إخلاصه لله سبحانه وتعالى؛ ولذا قال أهل العلم: مَنْ شَهِدَ فِي إِخْلَاصِهِ الْإِخْلَاصَ، احْتَاجَ إِخْلَاصُهُ إِلَى إِخْلَاصٍ[1]؛ أي يشهد لنفسه أنَّه سالم من كل ما يعارض هذا الصفاء من العجب ونحو ذلك؛ فإخلاصه يحتاج إلى إخلاص، وهذه من الدقائق، والمسائل التي يجب أن يتفطن لها، خصوصًا من ينتسب إلى طلب العلم الشرعي، فإنها من أعظم المزالق والمهالك، والعبد قد يوقن بأن الله سبحانه وتعالى قد خَلَّصه من الوقوع في الشرك الأكبر من عبادة غير الله سبحانه وتعالى، وقصد غير الله عز وجل، ولكن لمّا تتعلق المسألة بالشرك الخفي[2] كما أسماه

١- انظر: "مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٩١).

٢- أخرج البخاري في: "الأدب المفرد" (٧١٦): عن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ قال: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ الله عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ» ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا

النبي صلى الله عليه وسلم فإن هذا يحتاج إلى مدافعة، وهذا ما قاله غير واحد من السلف عليهم رحمة الله تعالى: «عالجتُ نَفْسِي عشرينَ سَنَةً حَتَّى اسْتَقَامَتْ لي»[١].

فالصدق يا أخوة وإصلاح النفس من شوائب الدواخل تحتاج إلى صبر ومصابرة، وهذا ما قد يُعَلِّق عليه المصنف رحمه الله فيما سيأتي إن شاء الله من المسائل التي سنذكرها.

قال رحمه الله: هذا قول الحسن ووهب بن منبه، وهو الأظهر؛ وهو الذي ذكرناه؛ من أنّ لا إله إلا الله لها شروط، ولها موانع يَتَخَلَّف مقتضاها عنها بسببها.

وفيما نَسَبَه رحمه الله تعالى إلى الحسن، ووهب؛ ذكر البيهقي في: "الأسماء والصفات": قَالَ الزُّهْرِيُّ: ثُمَّ نَزَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فَرَائِضُ وَأُمُورٌ نَرَى الْأَمْرَ انْتَهَى إِلَيْهَا فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَغْتَرَّ فَلَا يَغْتَرَّ[٢].

مَنْ جَعَلَ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟» قَالَ: "قُلِ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ". وأخرجه: أبو يعلى في: "مسنده" (٨٥). وصححه الألباني في: "صحيح الأدب المفرد" (٧١٦).

١- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ: «كَابَدْتُ نَفْسِي أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى اسْتَقَامَتْ» انظر: "حلية الأولياء" لابي نعيم (٣/ ١٤٧).

٢- انظر: "الاسماء والصفات" للبيهقي (١/ ٢٤٦).

- المتـن:

وقال الحسن للفرزدق وهو يدفن امْرَأَته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله مُنْذُ سبعين سنة. قال الحسن: نعم، إن لـ "لا إله إلا الله" شُرُوطًا، فإياك وَقذف المحصنة.

ورُوِيَ عنه أنه قال للفرزدق: هذا العمود، فأين الطنب؟

وقيل للحسن: إن أُنَاسًا يقولون: مَن قال: لا إله إلا الله دخل الجنَّة. فقال: مَنْ قال: "لا إله إلا الله" فَأدى حَقّها وفرْضها دخل الجْنَّة.

وقال وهب بن مُنَبّه لمن سأله: أليس "لا إله إلا الله" مفْتَاحُ الجْنَّة؟ قال: بلى؛ ولكن ما من مِفْتَاح إلَّا له أسنان، فَإِن جِئْت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك. وفي هذا الحديث: «إن مِفْتَاح الجنَّة لا إله إلا الله» خرجه الإِمام أحمد بإسناد مُنْقَطع.

- الشـــرح:

أما قول الحسن للفرزدق: هذا العمود، فأين الطنب؟: الطنب؛ هو الحبل الذي تشد به الخيمة، وجمعه: أطناب، فكأنه يشير إلى شروط لا إله إلا الله، هل جئت بشيء من شروط لا إله إلا الله؟. وأما قول وهب بن مُنَبّه لمن سأله؛ علّقه البخاري في الصحيح، ووصله في التاريخ الكبير[1]، والبيهقي في الأسماء والصفات[2]، وأبو نعيم في الحلية، وفي صفة الجنة[1].

١- انظر: "الصحيح/ بَابُ مَا جَاءَ فِي الجَنَائِزِ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله" و "التاريخ الكبير" للبخاري (١/ ٩٥).

٢- انظر: "الاسماء والصفات" للبيهقي (١/ ٢٧٤).

والحديث الذي ذكره: «إِن مِفْتَاح الجنَّة لا إله إلا الله» وقال: خرجه الإمام أحمد بإسناد مُنْقَطع؛ هو عند أحمد[٢]، والطبراني، وأبو نعيم في صفة الجنة، جميعهم من طريق: إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاشٍ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ. وفيه انقطاع. قال البزار: «وَشَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ[٣]». وقال الهيثمي: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّارُ، وَفِيهِ انْقِطَاعٌ بَيْنَ شَهْرٍ وَمُعَاذٍ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ رِوَايَتُهُ عَنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ضَعِيفَةٌ، وَهَذَا مِنْهَا[٤].

---

١ - انظر: "حلية الأولياء" (٤/ ٦٦)، و "صفة الجنة" (٢/ ٣٩) لابي نعيم الاصبهاني.

٢ - لفظ المُسند: (٢٢١٠٢) «مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله»

٣ - انظر: "مسند البزار" (٢٦٦٠).

٤ - انظر: "مجمع الزوائد" للهيثمي (١/ ١٧).

- المتـن

وعن معاذ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سألك أهلُ اليمن عن مِفْتَاح الجنَّة، فَقُل: شَهادة أن لَا إله إلَّا الله»، ويدل على صحة هذا القول أن النَّبي صلى الله عليه وسلم رَتَّبَ دُخُول الجنَّة على الأعمال الصَّالِحَة في كثير من النُّصُوص؛ كما في الصَّحيحين عن أبي أيُّوب؛ أنَّ رجلا قال: يا رسول الله أخبرني بعملٍ يُدخلني الجنَّة. فقال: «تعبدُ الله لا تشرك به شيئًا، وتُقيم الصَّلَاة، وتؤتي الزَّكَاة، وَتَصِلَ الرَّحِم».

- الشـــرح:

حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ أخرجه المحاملي[1] من طريق؛ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ مُعَاذٍ، أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: إِنَّكَ سَتَأْتِي أَهْلَ الكتاب ويسألونك عن مفتاح أهل الْجَنَّةِ؟ فَقُلْ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله[2] وهو ضعيف لإبهام الراوي عن معاذ رضي الله عنه.

المصنف هنا ذكر مسألة وهي: أن النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث قد رتب على الأعمال الصالحة أنها تكون سببًا لدخول الجنة، والمقصود أن الأعمال الصالحة قد جعلها الله سبحانه وتعالى أسبابًا لدخول الجنة، لا أنها تكافئ دخول الجنة، ولا أن العبد إذا أتى

١- انظر: "أمالي المحاملي" رواية ابن مهدي الفارسي (١/ ١٨٥).

٢- وأخرجه البيهقي أيضاً في: "الاسماء والصفات" (١/ ٢٥٩): عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ...

بالعمل فإنه يكون لزامًا على الله سبحانه وتعالى أن يدخله الجنة، بل إن ذلك يكون برحمة من الله سبحانه وتعالى وفضل.

وفي ذلك الحديث المعروف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»(١). فهذا معناه أن العمل لا يكون سببًا بذاته، بل برحمته وفضله جل وعلا؛ أن جعله سببًا لدخول الجنة. والعبد إذا علم أن الجنة قد اعدَّها رَبُّ السماوات والأرض الذي لا يكون في فعله سبحانه أي نقص، فيعلم أنه مهما أتى من العمل الكثير والجزيل فذلك العمل لن يكافئ ولن يوازي ذلك الذي صنعه رب العزة تبارك وتعالى على ما يشوب العمل من الخلل والتقصير، ومعارضة الإخلاص والصدق، فمهما عمل العبد من الأعمال التي لابد وأن يشوبها شيء من النقص فلن تكافئ ولن توازي ولن تضاهي صنعة رب العالمين سبحانه وتعالى في جنات عرضها السماوات والأرض.

فأعمالك يشوبها النقص، والجنة صُنع رب العالمين سبحانه وتعالى، وصُنعه سبحانه وتعالى كمالٌ لا نقص فيه، فلا يكون هذا العمل المنقوص يوازي صُنع الرب سبحانه وتعالى في تلك الجنة، وهذا يسوق العبد إلى مزيد من البذل والعطاء والرجاء، لما عند الله سبحانه وتعالى ومشاهدة القصور في العمل، وطلب الإخلاص والصدق فيه، والتبرؤ من كل حول ومن كل قوة إلا من حول الله سبحانه وتعالى وقوته، وهو يعلم أنه لا يتحول من حال إلى

١ – أخرجه: البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

حال، ولا ينتقل من حال إلى حال، ولا يعمل شيئًا فالقوة التي يعمل بها ما هي إلا من رب العالمين

سبحانه وتعالى الذي يسدده، ويوفقه، ويعينه على العمل، وهذه النفس وحظوظها، وما يصنعه الشيطان من أسباب الخلل والنقص الذي قد يقع في العمل، ومع ذلك لا بد وأن يسعى في إكمال هذا النقص، لعل الله سبحانه وتعالى أن يجعل شيئًا من ذلك العمل سببًا لحصول ذلك الثواب من دخول الجنة.

- المتـن

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة؛ أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! دُلَّنِي على عملٍ إذا عَمِلتُه دخلتُ الجنَّة، قال: «تعبدُ الله لا تُشرك به شيئًا، وتُقيم الصَّلَاة الـمكتوبة، وتُؤَدِّي الزكاة الـمفروضة، وتصوم رمضان»، فقال الرجل: والَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لا أَزِيد على هذا شيئًا ولا أنقص مِنْهُ، فقال النَّبِي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنَّة؛ فَلْيَنْظر إلى هذا».

وفي الـمسند عن بشير بن الخصاصية قال: أتيتُ النَّبِي صلى الله عليه وسلم لأبايعه، فَاشْترط عَلَيَّ: «شهادة أَن لا إله إِلَّا الله، وأن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، وأن أقيم الصَّلاة، وأن أُؤَدِّيَ الزَّكاة، وأن أَحُجَّ حَجَّة الإسلام، وأن أصوم شهرَ رمضان، وأن أُجاهد في سَبِيل الله». فقلت: يا رسول الله! أما اثْنَتَيْنِ فوَالله لَا أطيقهما: الجِهاد والصَّدَقَة. فإنهم زَعَمُوا أنه مَنْ وَلَّى الدُّبُرَ فقد بَاء بغضب من الله، فَأَخَافُ إِن حضرتُ تِلْكَ جَشِمْتُ نَفسِي، وكَرِهتُ الْمَوْت.

وَالصَّدَقَة: فوَالله مَالِي إِلَّا غُنَيمَةٌ وَعشرُ ذَود هن رَسَلُ أَهلِي وحمولتهن، قَالَ فَقبض رَسُول الله صلى الله عليه وسلم يَده ثمَّ حركها، ثمَّ قَالَ: «فَلَا جِهَاد وَلَا صَدَقَة فَبِمَ تدخل الْجنَّة إِذن؟»، قلت: يا رسول الله! أُبَايِعك. فَبَايَعته عَلَيْهِنَّ كُلهنَّ[1].

- الشـــرح:

جَشِمْتُ نَفسِي: هكذا جاءت في كثير من الطبعات، والصواب؛ كما هو في مسند أحمد، وعند الطبراني في الأوسط[2]: "جَشِعَتْ نَفْسِي" أي فزعت.

وَعشرُ ذَوْدٍ هن رَسَلُ أَهلِي وحمولتهن: الذود؛ هو القطيع من الإبل، والرَّسَلُ: أيضًا هو القطيع، وحمولتهن؛ أي حمولة هذه الإبل، وهو ما يُحمَل عليهن.

هذا الحديث أخرجه أحمد، وقال الهيثمي: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَاللَّفْظُ لِلطَّبَرَانِيِّ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ مُوَثَّقُونَ[3]. وقال ابن كثير في تفسيره: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ فِي الْكُتُبِ السِّتَّةِ[4]. والحديث ضعفه الألباني[5] رحمه الله تعالى.

١- أخرجه أحمد (٢١٩٥٢).

٢- انظر: "المعجم الأوسط" للطبراني (١١٢٦).

٣- انظر: "مجمع الزوائد" للهيثمي (١/ ٤٢).

٤- انظر: "تفسير ابن كثير" (٤/ ٢٥).

٥- انظر: "تحقيق كلمة الإخلاص" للألباني (١/ ١٦).

- المتـن:

فَفِي هذا الحديث أن الجِهَاد والصَّدَقَة شَرط في دُخُول الجنَّة مع حُصُول التَّوحِيد والصَّلاة والصِّيَام والحج. ونَظِير هذا أن النَّبِي صلى الله عليه وسلم قال: «أُمِرتُ أَن أقَاتِل النَّاس حَتَّى يشْهدُوا أَن لَا إِلَه إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله(١)»، ففهم عمر وجماعة من الصَّحابة أَنَّ مَن أتى بالشَّهادَتَيْنِ امتنع من عُقُوبَة الدُّنيَا بِمُجَرَّد ذلك، فَتَوَقَّفوا فِي قتال مانع الزَّكَاة، وفَهِمَ الصّديق أنه لا يمْتَنع قِتَاله إِلَّا بأَدَاء حُقُوقها؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «فإذا فعلوا ذلك منعُوا مني دِمَاءَهُم إِلَّا بِحَقِّهَا وحسابهم على الله»، وَقَالَ: «الزَّكَاة حق المَال».

- الشـــرح:

لايزال المصنف رحمه الله تعالى يستطرد في ذكر بعض الأحاديث الدالة على أن؛ شهادة أن لا إله إلا الله وحدها لا تكفي، بل لا بد وأن يصاحبها العمل، فإن لم يصاحبها العمل كانت هذه الشهادة، شهادة ناقصة، ولا تكون شهادة صحيحة كما قالها قائلها، بل لا بد وأن يصاحب ذلك العمل.

وأبو بكر رضي الله عنه قاتل المرتدين، وكذلك قاتل مانعي الزكاة، فهما طائفتان:

- المرتدون؛ خارجون عن دين الإسلام، فقاتلهم رضي الله عنه على ردتهم.
- مانعوا الزكاة؛ فقاتلهم على منعهم للزكاة.

١- أخرجه: البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢١).

هنا قد يحصل أحياناً شيء من الخلط؛ أن مانعي الزكاة هم نفسهم الذين ارتدوا، وإن كان هنالك طائفة ارتدوا ومنعوا الزكاة، فهذا لا يعني أن هنالك طائفة لم ترتد ولكنها امتنعت عن أداء الزكاة وقالوا: إنما كنا نؤديها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١].

عمر رضي الله عنه، ومعه جمع من الصحابة؛ فهموا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدوا أنْ لا إلهَ إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله" ظنوا أنها كافية في هذا الجانب، لذلك قال عمر رضي الله عنه للصديق: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى... الحديث. فظن عمر رضي الله عنه كما قال أهل العلم: أن مجرد الإتيان بالشهادتين يعصم الدم في الدنيا. فتمسّك رضي الله عنه بعموم الحديث، وأبو بكر رضي الله عنه فهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم:

"إِلَّا بِحَقِّهَا" فهذا الاستثناء فهم منه الصديق رضي الله عنه؛ أن للشهادتين حقا ومنه أداء الزكاة[٢].

فهذا هو فهم الصديق، ولذا وافقه عمر رضي الله عنه ومن كان معه من الصحابة بعد ذلك[١].

١- ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في: "الفتح" (١٢/ ٢٧٧): قول الخطابي أنهم: مَنَعُوا الزَّكَاةَ وَتَأَوَّلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وصل عَلَيْهِم إِن صَلَاتك سكن لَهُم فَزَعَمُوا أَنَّ دَفْعَ الزَّكَاةِ خَاصٌّ بِهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ غَيْرَهُ لَا يُطَهِّرُهُمْ وَلَا يُصَلِّي عَلَيْهِمْ فَكَيْفَ تَكُونُ صَلَاتُهُ سَكَنًا لَهُمْ.

٢- كما جاء في الحديث: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَالله لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ.

- المتــن:

وهذا الَّذي فَهِمَه الصّديق قد رواه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم صَرِيحًا غير واحد من الصَّحابَة، مِنهُم ابن عمر، وأنس، وغَيرهما، وأنه قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ[٢]»، وقد دلّ على ذلك قولُه تعالى: ﴿فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾[٣]، كما دلَّ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[٤]، على أنَّ الأُخوة في الدِّين لا تثبت إِلَّا بأَداء الفرائض مع التَّوحيد، فإنَّ التَّوبَة من الشّرك لا تحصل إِلَّا بالتَّوحيد. فَلَمَّا قَرَّرَ أبو بكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صَوابًا.

فإذا عُلِمَ أن عُقُوبَة الدُّنيَا لا ترتفِعُ عَمَّن أدّى الشَّهَادَتَين مُطلقًا؛ بل يُعَاقب بإخلاله بِحَقٍّ من حُقُوق الإِسلام فَكذلك عُقُوبَة الآخِرَة.

- الشـــرح:

وهذا ظاهر فيما سبقت الإشارة إليه.

١- كما جاء عند البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠):فَقَالَ عُمَرُ: «فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ الله قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ»

٢- أخرجه: مسلم (٢٢).

٣- التوبة (٥).

٤- التوبة (١١).

- المتـن:

وَقد ذهب طائفة إلى أن هذه الأحاديث الـمذكورة أولاً وما في معناها كانت قبل نزول الفرائض والحُدود، مِنهُم الزُّهريّ والثَّوري وغيرهما، وهذا بعيدٌ جدًّا؛ فإن كثيرًا منها كان بالـمدينة بعد نزُول الفَرَائِض والحُدود، وفي بَعضهَا أنه كان في غَزوَة تَبُوك، وهي في آخر حَيَاة النَّبِي صلى الله عليه وسلم.

- الشـــرح:

وقد سبقت الإشارة إلى كلام الزهري رحمه الله تعالى، والأحاديث التي جاءت بعضها في غزوة تبوك، وغزوة تبوك متأخرة؛ كما في الحديث الذي مر معنا، الذي شك فيه الأعمش "عن أبي هريرة أو أبي سعيد بالشك" كذا قال، فهذا الحديث كان في غزوة تبوك.

- المتـن:

وهؤلاء مِنهُم من يَقُول في هذه الأحاديث: إِنَّها منسوخة، ومِنهُم من يَقُول هي محكمة؛ ولكن ضُمَّ إليها شَرائِط. ويلتفت هذا إلى أن "الزِّيَادَة على النَّص": هل هي نسخ أم لا؟ والخلاف في ذلك بين الأُصُولِيِّين مَشهُور.

- الشـــرح:

المُحْكَم: هو كل نص لا يحتاج إلى غيره في بيانه؛ فبيانه منه وفيه، فلا يفتقر إلى بيان خارج عنه.

والمنسوخ: يحتاج إلى بيان؛ فيحتاج إلى ما يبين أنه قد نُسخ أو لم يُنسخ.

فاختلفوا؛ فقيل أنها منسوخة، وقيل إنها محكمة ليست بمنسوخة، ولكن ضم إليها شرائط؛ يعني أنها ليست منسوخة لكن مع مرور الوقت زادت بعض الشروط على شهادة أن لا إله إلا الله، فكأنهم طُلبوا أولًا بلا إله إلا الله ثم بعد ذلك طُلبوا بشرائط لا إله إلا الله.

وذكر هنا مسألة: "الزِّيَادَة على النَّص": هل هي نسخ أم لا؟:

وجمهور الأصوليين والفقهاء على أنها ليست بنسخ، خلافًا للحنفية(1)، والله أعلم.

١- قال ابن القيم في: "اعلام الموقعين" (٢/ ٢٢٢): وَقَدْ ذَهَبَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْكَرْخِيُّ وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ إلَى أَنَّهَا نَسْخٌ.

- المتــن:

وقد صَرَّحَ الثَّوريّ وغيره بأنَّها منسوخة، وأنه نسخها الفَرَائِض والحدود، وَقد يكون مُرادهم بالنسخ البيان والإيضاح؛ فإنَّ السّلف كانوا يُطلِقون النّسخ على مثل ذلك كثيرًا، ويكون مقصودهم أنَّ آيات الفَرائِض والحُدود تبَيَّنَ بها تَوَقُّفُ دُخول الجنَّة والنجاة من النَّار على فعل الفَرائِض واجتناب الـمَحارِم، فصارت تِلكَ النُّصُوص مَنسوخَةً أي مُبَيَّنَةً مُفَسَّرَةً، ونصوصُ الحُدودِ والفرائض ناسخةٌ، أَي: مُفَسِّرَةٌ لِمَعنى تلك مُوضحَة لها.

- الشـــرح:

والذي استقر عليه تعريف الأصوليين للنسخ أنه: رفع حكم ثابت بدليل متأخر عن دليل الحكم الأول(١)؛ فيكون عندنا حكم ثابت وله دليله، ثم يأتي دليلًا أخر جديد متأخر عنه فيرفع الحكم الأول ويثبت حكمًا جديدًا.

هذا الذي استقر عليه تعريف الأصوليين للنسخ، ولكن السلف كان إطلاقهم للنسخ أوسع من ذلك(٢) ولكن الذي ينبغي أن لا يعارض طالب العلم كلام السلف وما يقولونه وما يصطلحون عليه بما اصطلح عليه من تأخر عنهم.

١- قال ابن قدامة في: "روضة الناظر" (١/ ٢١٩):وحدّه: «هُوَ رَفْعُ الْحُكْمِ الثَّابِتِ بِخِطَابٍ مُتَقَدِّمٍ، بِخِطَابٍ مُتَرَاخٍ عَنْهُ» وكذلك عرفه ابن اللحام في: "المختصر" (١/ ١٣٦).

٢- قال الشاطبي في: "الموافقات" (٣/ ٣٤٤): الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّ النَّسْخَ عِنْدَهُمْ فِي الْإِطْلَاقِ أَعَمُّ مِنْهُ فِي كَلَامِ الْأُصُولِيِّينَ؛ فَقَدْ يُطْلِقُونَ عَلَى تَقْيِيدِ الْمُطْلَقِ نَسْخًا، وَعَلَى تَخْصِيصِ الْعُمُومِ بِدَلِيلٍ مُتَّصِلٍ أَوْ مُنْفَصِلٍ نَسْخًا، وَعَلَى بَيَانِ الْمُبْهَمِ وَالْمُجْمَلِ نَسْخًا، كَمَا يُطْلِقُونَ عَلَى رَفْعِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ مُتَأَخِّرٍ نَسْخًا؛ لِأَنَّ جميع ذلك مشترك في

فالسلف كانوا يطلقون النسخ كما قال المصنف رحمه الله تعالى ويريدون البيان، ويريدون الإيضاح، فهذا يختلف، وفي قولهم مثلًا في الكراهة فإذا وجدت أحد من السلف يذكر أن الحكم الفلاني مكروه أو أكرهه فلا تعامله بمعاملة الكراهة المعروفة عند المتأخرين، فقد يكون مراد ذلك العالم من السلف الحرمة كما كانوا قد يستعملوها أحيانًا.

- المتـن:

وقالت طائِفَة: تلك النُّصُوص الـمُطلقَة قد جاءت مُقَيّدَة في أحاديث أُخَر، فَفِي بعضها: «مَنْ قال لَا إله إِلَّا الله مُخلصًا...»، وَفِي بَعْضهَا: «مُسْتَيْقنًا»، وفي بَعضها: «يُصَدِّقُ لِسَانه..»، وفي بَعضهَا: «يَقُولهَا حَقًا من قلبه»، وفي بَعضهَا: «قد ذَلَّ بهَا لِسَانه وَاطْمَأَنَّ بها قلبه».

- الشــــرح:

«مَنْ قال لَا إله إِلَّا الله مُخلصًا...»؛ هذا في مسند أحمد[1]، من حديث جابر.

وَفِي بَعْضهَا: «مُسْتَيْقنًا»؛ هذا في صحيح مسلم[2].

وفي بَعضها: «يُصَدِّقُ لِسَانه..»؛ وهذا أخرجه ابن حبان بهذا اللفظ، وضعفه الألباني بهذا اللفظ[1]، وأصله في البخاري بلفظ: "خالصًا من قلبه[2]".

معنى واحدًا، وَهُوَ أَنَّ النَّسْخَ فِي الِاصْطِلَاحِ الْمُتَأَخِّرِ اقْتَضَى أَنَّ الْأَمْرَ الْمُتَقَدِّمَ غَيْرُ مُرَادٍ فِي التَّكْلِيفِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَا جِيءَ بِهِ آخِرًا؛ فَالْأَوَّلُ غَيْرُ مَعْمُولٍ بِهِ، وَالثَّانِي هُوَ الْمَعْمُولُ بِهِ.

١ – أخرجه: أحمد (٢٢٠٦٠).

٢ – أخرجه: مسلم (٣١).

وفي بَعضهَا: «يَقُولهَا حَقًا من قلبه»؛ وهذا أخرجه أحمد، وابن خزيمة في التوحيد، وابن حبان[٣]، وصححه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير: إسناده جيد. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقال الألباني: صحيح.

وفي بَعضهَا: «قد ذَلَّ بهَا لِسَانه وَاطْمَأَنَّ بها قلبه»؛ هذا عند الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب، والبخاري في التاريخ الكبير[٤].

١- أخرجه: ابن حبان (٦٤٦٦)، وقال الألباني في "التعليقات الحسان": ضعيف بهذا التمام.

٢- أخرجه: البخاري (٩٩) بلفظ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»

٣- أخرجه: أحمد (٤٤٧) بلفظ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ» وأخرجه ابن خزيمة في: "التوحيد" (٢/ ٧٧٤)، وابن حبان (٢٠٤)، والحاكم في: "المستدرك" (٢٤٢) بلفظ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ فَيَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله» وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ وَلَا بِهَذَا الْإِسْنَادِ»، ووافقه الذهبي، وهو بهذا اللفظ أيضاً عند ابن كثير في: "مسند الفاروق" (١/ ٢٢٧) وقال: وهذا اسناد جيد. وقال الألباني في: "التعليقات الحسان": صحيح.

٤- أخرجه: الطبراني في: "الأوسط" (٩٢٧٣)، والبيهقي في: "الشعب" (١/ ٩٨) والبخاري في: "التاريخ الكبير" (٢/ ٢٥٩).

- المتـن:

وهذا كُله إِشارة إلى عمل القلب، وتحَقُّقِه بِمَعنى الشَّهادَتَين.

- الشـــرح:

هنا مسألة يا أخوة مهمة تتضارب فيها الأفهام؛ وهي ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح، حديث الشفاعة الطويل، وفيه قال صلى الله عليه وسلم: "فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا[١].." الحديث.

فلفظة: "لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ"؛ مما حصل بها الإشكال عند كثير من الناس، واختُلف في المراد فيها، وكما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (لا تهدم مصرًا وتبني قصرًا[٢]) وأهل السنة يعلمون أن حقيقة الإيمان يدخل فيه العمل، فلا ينبغي أن يساور العبد شيئًا من الشك في هذا الأصل، وكثيرًا من الناس يحصل عنده اضطراب كلما وردت لديه شبهة اضطرب أصله وهذا خطأ، أهل السنة مقالتهم واحدة، ولا ينبغي أن تضطرب عندك الأصول لما يستجد عندك من المسائل والفروع، وتيقن أن ما لم يتبين لديك أنه مندرج تحت أصل ما، فهو إما لقصور في الفهم، أو لعله يندرج تحت أصل آخر لم يبلغك ولم تعرفه، لكن ما ينبغي

١- أخرجه: مسلم (١٨٣).

٢- قال رحمه الله في: "مدارج السالكين" (١/ ٣٩٩):فَهَؤُلَاءِ رَدُّوا بَاطِلًا بِأَبْطَلَ مِنْهُ، وَبِدْعَةً بِأَقْبَحَ مِنْهَا، وَكَانُوا كَمَنْ رَامَ أَنْ يَبْنِيَ قَصْرًا فَهَدَمَ مِصْرًا.

للإنسان إذا وردت عليه مسألة خالفت أصلًا عنده أن يطرح ذلك الأصل بما استجد لديه من المسائل.

فتقرير أن لا إله إلا الله لها شروط، ومن شروطها القبول، ومن شروطها الانقياد

وتقرير أنه هنالك تلازمًا بين ظاهر العبد وباطنه، وتلازمًا بين باطنه وظاهره، وأن ما أبطنه لا بد وأن يظهر على عمله كما قال الله سبحانه وتعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ} محمد (٢٩). وقال سبحانه: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} محمد (٣٠)؛ فالله سبحانه وتعالى لا بد وأن يظهر بواطن العباد إما على فلتات اللسان، أو على صحائف الأعمال، فالحقيقة للإيمان عند أهل السنة؛ أن العمل ركن، ولا يصح إيمان العبد دون وجود هذا الركن، لأن الركن من ماهية الشيء، ولا يقوم الأصل دون وجود هذا الركن، والأصل لا يقوم إلا بوجود أركانه، فإذا انتزع منه ركن سقط، ولم يكن قيامه صحيحًا. لذلك ينبغي على العبد دائمًا أن يراجع كلام أهل العلم، وخصوصًا فيما يتعلق بالعقائد، فيراجع كلام أهل السنة في هذا الباب، فالعمل ركن ولا يصح الإيمان إلا به، والنصوص الشرعية كما قال الله سبحانه وتعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ} آل عمران (٧). فالنصوص منها ما هو متشابه، ومنها ما هو محكم، المتشابه؛ هو ما يحتاج إلى غيره ليبينه. والمحكم؛ هو ما يكون بيانه منه وفيه فلا يحتاج إلى غيره. وأصول أهل السنة محكمة لا يدخلها هذا التشابه، والنبي صلى الله

عليه وسلم قال لأم المؤمنين عائشة: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ»[١]؛

فتردّ ما أشكل عليك من النصوص إلى ما اتضح عندك، وأهل السنة قد اتفقوا على أن الإيمان لا يصح من العبد إلا مع وجود العمل، وأما إذا انتفى العمل بالكلية فهذا لا يكون الإيمان فيه صحيحًا.

يقول ابن خزيمة رحمه الله تعالى في كتابه التوحيد قال: هَذِهِ اللَّفْظَةُ لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي يَقُولُ الْعَرَبُ: يُنْفَى الِاسْمُ عَنِ الشَّيْءِ لِنَقْصِهِ عَنِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ، فَمَعْنَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ، لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، لَا عَلَى مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ[٢].

وقال العلامة ابن عبد البر المالكي: وَأَمَّا قَوْلُهُ: "لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ" وَقَدْ رُوِيَ: "لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ"؛ أَنَّهُ لَمْ يُعَذِّبْهُ إِلَّا مَا عَدَا التَّوْحِيدَ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالْخَيْرِ، بِدَلِيلِ حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ الْمَذْكُورِ، وَهَذَا شَائِعٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ؛ أَنْ يُؤْتَى بِلَفْظِ الْكُلِّ وَالْمُرَادُ الْبَعْضُ، وَقَدْ يَقُولُ الْعَرَبُ لَمْ يَفْعَلْ كَذَا قَطُّ يُرِيدُ الْأَكْثَرَ مِنْ فِعْلِهِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "لَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ"؛ يُرِيدُ أَنَّ الضَّرْبَ لِلنِّسَاءِ كَانَ مِنْهُ كَثِيرًا لَا أَنَّ عَصَاهُ كَانَتْ لَيْلًا وَنَهَارًا عَلَى عَاتِقِهِ[٣]. وبنحو كلام ابن عبد البر قال العلامة القاسم بن سلاّم في كتابه الإيمان[١] والله أعلى وأعلم.

١- أخرجه: البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

٢- انظر: "التوحيد" لابن خزيمة (٢/ ٧٢٩).

٣- انظر: "الاستذكار" لابن عبد البر (٣/ ٩٥).

- المتـن:

فَتَحَقُّقُه بقول: لا إله إلَّا الله: أَن لا يَأْلَهَ القلبُ غيرَ الله حُبًّا ورجاءً وخوفًا وتَوَكُّلاً واستعانةً وخُضوعًا وإنابةً وطلبًا.

وتَحَقُّقُه بأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله: أَلاَّ يَعبُدَ الله بِغَير ما شَرَعَهُ الله على لِسَان مُحَمَّد صلى الله عليه سلم، وَقد جَاءَ هَذَا الـمَعنى مَرفُوعًا إِلَى النَّبِي صلى الله عليه سلم صَرِيحًا؛ أَنه قَالَ: «مَنْ قَالَ: لا إله إلَّا الله. مُخلِصًا دخل الجنَّة»، قيل: ما إخلاصها يا رَسُول الله؟ قال: «أَن تحجزك عَمَّا حرم الله عَلَيْك»، وَهَذَا يُرْوى من حَدِيث أنس بن مَالك وَزيد بن أَرقم وَلَكِن إسنادهما لَا يَصح، وَجَاء أَيْضا من مَرَاسِيل الْحسن بِنَحْوِهِ.

- الشـــرح:

أيها الأحبة هنا مسألة وهي: العبد يعايد من نفسه شيئا من محبته لربه سبحانه وتعالى والعبودية التي تكون عند العبد تكون بمقدار ما يقوم في قلبه من محبته لله سبحانه وتعالى، محبة الله أصل التوحيد، وأصل الإيمان، كما نص على ذلك أهل العلم، وكلما زادت العبودية في قلب العبد زادت المحبة لله سبحانه وتعالى، وكذلك يزيد في القلب ما يمنعه عن إتيان شيء من معاصي الله سبحانه وتعالى، وإذا زاد الإخلاص زادت تلكم المحبة لله سبحانه وتعالى، ومن ذاق لذة المحبة كما قال صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا[٢]" من ذاق لذة تلك المحبة راوده الخوف

١- انظر: "الإيمان" للقاسم بن سلام (٨٠) وما بعدها.

٢- أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

من زوالها، وزوال أسبابها، وانبعث قلبه رجاءً لربه سبحانه وتعالى أن يديم تلك العبودية ولذتها.

والعبد إما أن تدفعه هذه المحبة إلى أن يستسلم لله سبحانه وتعالى وحده؛ فهذا هو الموحد. وإما أن تَخْتَل عنده هذه المحبة، فيستسلم لغير الله سبحانه وتعالى معه؛ وهذا هو المشرك، نسأل الله السلامة والعافية. أو أن يستسلم لغير الله سبحانه وتعالى دون أن يستسلم لله، نسأل الله السلامة والعافية.

- المتــن:

وَتَحْقِيق هَذَا الـمَعنى وإيضاحُه: أَنَّ قَول العَبد: لَا إِلَه إِلَّا الله. يَقتَضِي أَن لَا إِلَه لَهُ غير الله.

والإله: هُوَ الَّذِي يُطاع فَلَا يعْصى هَيْبَة لَهُ وإجلالاً ومحبَّةً وخوفًا ورجاءً وتَوَكُّلًا عَلَيْهِ وسُؤالًا مِنْهُ وَدُعَاء لَهُ، وَلَا يصلح ذَلِك كُله إِلَّا لله عز وَجل فَمَنْ أشركَ مخلوقًا فِي شَيْءٍ من هَذِه الْأُمُور الَّتِي هِيَ من خَصَائِص الإلهيَّة، كَانَ ذَلِك قدحًا فِي إخلاصه فِي قَول لَا إِلَه إِلَّا الله، ونقصًا فِي توحيده، وَكَانَ فِيهِ من عبودية الْمَخْلُوق بِحَسب مَا فِيهِ من ذَلِك، وَهَذَا كُله من فروع الشّرك؛ وَلِهَذَا ورد إِطْلَاق الْكفْر والشرك على كثير من الْمعاصِي الَّتِي مَنْشَؤُها مِن طَاعَة غير الله أَو خَوفه أَو رجائه أَو التَّوَكُّل عَلَيْهِ وَالْعَمَل لأَجله.

كَمَا ورد إِطْلَاق الشّرك على الرِّيَاء، وعَلى الْحلف بِغَيْر الله، وعَلى التَّوَكُّل على غير الله والاعتماد عَلَيْهِ، وعَلى مَنْ سَوَّى بَين الله وَبَين الْمَخْلُوق فِي الْمَشِيئَة؛ مثل أَن يَقُول: مَا شَاءَ الله

وَشاء فلَان. وَكَذَا قَوْله: مَالِي إِلَّا الله وَأَنت. وَكَذَلِكَ مَا يقْدَح فِي التَّوْحِيد وَتَفرُّدِ الله بالنفع والضر كالطِّيَرَةِ والرُّقى المُكْرُوهَة، وإتيان الْكُهَّان وتصديقهم بِمَا يَقُولُونَ.

وَكَذَلِك اتِّبَاعُ هوى النَّفس فِيمَا نهى الله عَنهُ؛ قَادِحٌ فِي تَمام التَّوْحِيد وكماله؛ وَلِهَذَا أطلق الشَّرْع على كثير من الذُّنُوب الَّتِي مَنْشَؤُها مِنْ هوى النَّفس أَنَّهَا كفرٌ وشركٌ؛ كقتال الْمُسلم، وَمن أَتَى حَائِضًا أَو امْرَأَة فِي دبرهَا، وَمَنْ شرب الْخمرَة فِي الْمرة الرَّابِعَة، وَإِن كَانَ ذَلِك لَا يُخرجهُ عَن الْمِلَّة؛ وَلِهَذَا قَالَ السّلف: كُفرٌ دون كفر، وشركٌ دون شرك. وَقد ورد إِطْلَاق الإله على الْهوى المتَّبَع، قَالَ الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾، قَالَ: هُوَ الَّذِي لَا يهوى شَيْئا إِلَّا رَكبه، وَقَالَ قَتَادَة: هُوَ الَّذِي كُلَّمَا هوِيَ شَيْئًا رَكِبَه، وَكلما اشْتهى شَيْئا أَتَاهُ، لَا يحجزه عَن ذَلِك ورَعٌ وَلَا تقوى. وَرُوِيَ من حَدِيث أبي أُمَامَة بإسناد ضَعِيف: «مَا تَحت ظِلّ سَمَاءٍ إِلَهٌ يُعبَدُ أعظمُ عِنْد الله من هوى مُتَّبَع». وَفِي حَدِيث آخر: «لَا تزَال لَا إِلَه إِلَّا الله تدفع عَن أَصْحَابهَا حَتَّى يؤثرون دنياهم على دينهم، فإذا فعلوا ذَلِك رُدَّتْ عَلَيْهِم، وَيُقَال لَهُم: كَذبْتُمْ».

وَيشْهد لذَلِك الحَدِيث الصَّحِيح عَن النَّبِي -صلى الله عليه وسلم- : «تَعِسَ عَبدُ الدِّينَار، تَعِسَ عَبدُ الدِّرْهَم، تَعِسَ عَبدُ القطيفة، تَعِسَ عَبدُ الخميصة، تَعِسَ وانتكس، وَإِذا شِيكَ فَلَا انتَقَش[١]».

- الشـــرح:

أشار المصنف رحمه الله تعالى أولًا إلى تعريف الإله؛ وهو الذي يطاع محبة وتعظيمًا وإجلالًا وخوفًا ورجاءً. وقد ترى أن بعض أهل العلم يقول: هو الذي يطاع محبة وذلًا

١- أخرجه: البخاري (٢٨٨٦)، (٢٨٨٧).

ورجاءً. وبعضهم يقول: محبة وخوفًا ورجاءً؛ فالإله يُحب سبحانه وتعالى مع الذل له والخوف منه ومن عقوبته سبحانه وتعالى ورجاء ما عنده. والعبد ينبغي بل لا يجوز له؛ أن يذل لأحد ذلًا يكون معه شيء من التعظيم والمحبة والخوف والرجاء؛ فإن هذا يدخل في باب العبودية المنهي عنها.

نُجمِلُ هذا أيها الأحبة في بيان مسألة سبقت معنا الإشارة إليها: أن فقر العبد لازم لا ينفك عنه، وأن غنى الرب سبحانه وتعالى لازمًا لا ينفك عنه سبحانه، وكل فقر يكون من العبد إلى غير الله سبحانه وتعالى فعاقبته إلى انقطاع ولو بعد حين، ولو حصل له من سكون النفس وراحتها، فمآل ذلك إلى زوال، وكما أن الطعام والشراب غذاء للبدن فكذلك التوحيد غذاء للروح وللقلب، والنفس دائمة الطلب بما يجلب نفعها، ويدفع ضرها، ونفس المؤمن تعلم بالاضطرار؛ أن كل من سوى الله سبحانه وتعالى لا يملك النفع والضر، ولا يملك العطاء والمنع بذاته، ويعلم بالاضطرار؛ أن نفسه تطلب ما يجلب نفعها، ويدفع ضرها، وتطلب العطاء وتطلب المنع، وتطلب العزة ودفع الذل.

والعاقل كيف يرجو من لا يملك له نفعًا ولا ضرًا، ويعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يملك النفع والضر، وكيف يرجو العاقل من لا يملك له نصرًا ولا خذلًا؟ قال الله سبحانه

وتعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)} مريم. والله سبحانه وتعالى يتودد إلى عباده، ويتقرب إلى عباده -سبحانه وتعالى- ليتوبوا ويرجعوا ويتقربوا إلى ربهم سبحانه؛ يعطيهم من صنوف النعم،

والعطايا الجزيلة، وإن منع عنهم فضله سبحانه فلابد أن يكون في شيء من ذلك المنع نفعًا للعبد وإن كان لا يدركه عقله.

رحم الله ابن القيم حين قال: لَيْسَ الْعجب من مَمْلُوك يتذلل لله ويتعبّد لَهُ وَلَا يمل من خدمته مَعَ حَاجته وَفقره إِلَيْهِ إِنَّمَا الْعجب من مَالك يتحبب إِلَى مَمْلُوكه بصنوف إنعامه ويتودد إِلَيْهِ بأنواع إحسانه مَعَ غناهُ عَنهُ[1].

قلت وفي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً[2]"؛ تودد من رب العالمين للعباد، والعباد منصرفون إلى صنوف نعم الدنيا وملذاتها وشهواتها، والعبد إذا علم أمثال هذه العطايا من رب العالمين سبحانه وتعالى لا بد وأن يراجع نفسه في عبوديته لربه عز وجل وإخلاصه له، وتحقيق الفقر الخاص، فهنالك؛

- عبودية عامة: عبودية قهر وهي لجميع المخلوقات؛ فكلهم تحت قهر الله سبحانه وتعالى.

١- انظر: "الفوائد" لابن القيم (١/ ٣٥).

٢- أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

- وهنالك عبودية خاصة: عبودية طاعة وهذه لمن وحَّد الله سبحانه وتعالى؛ فصرف قلبه وعمله لله عز وجل، وتقرب إلى ربه سبحانه وتعالى بالطاعات، وترك المعاصي والذنوب؛ رغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى.

وهنا إشارة إلى مسألة وهي في قوله: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} الفرقان (٤٣)؛ قيل إنها نزلت في الحارث بن قَيْس السهمي، كان يهوى الأوثان فيعبدها، وقال سعيد بن جبير: «كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُونَ الْحَجَرَ، فَإِذَا رَأَوْا حَجَرًا أَحْسَنَ مِنْهُ أَخَذُوهُ وَتَرَكُوا الْأَوَّلَ»[١] وقال الحسن: هُوَ الْمُنَافِقُ يُصِيبُ هَوَاهُ، كُلَّمَا هَوَى شَيْئًا فَعَلَهُ"[٢]. وقال الطبري: أَرَأَيْتَ يا محمد مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ شهوته التي يهواها"[٣].

هذه المعاني يا إخوة يوضحها قول الله سبحانه وتعالى: {أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ الله يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ} فاطر (٨)؛ قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: والهوى هو ميل النفس إلى ما لا ينبغي لها. نسأل الله السلامة والعافية.

يعني من هذا الوجه صار اتخاذ الهوى إلهًا، وهو قد يكون من الشرك الأصغر، وقد يكون من جنس سائر المعاصي، لذا ورد عن السلف كما سيأتي أنهم كانوا يُسَمُّون المعاصي بريد الشرك أو بريد الكفر؛ فهي من مقدماتها ومن استسهلها استسهل ما هو أعظم منها، نسأل الله السلامة والعافية، وهي تجر إلى ما هو أعظم، وربنا سبحانه وتعالى يقول: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ

١- أخرجه: أبو نعيم في: "الحلية" (٤/ ٢٨٨).

٢- انظر: "تفسير يحيى بن سلام" (١/ ٤٨٣).

٣- انظر: "تفسير الطبري" (١٩/ ٢٧٤).

وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ(٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)}الليل. وقال سبحانه: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا} البقرة (١٠)؛ فالمعصية عقوبتها أن تجر إلى معصية أخرى قد تكون أعظم منها، نسأل الله السلامة والعافية.

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: «تَعِسَ عَبدُ الدِّينَار، تَعِسَ عَبدُ الدِّرْهَم، تَعِسَ عَبدُ القطيفة، تَعِسَ عَبدُ الخميصة، تَعِسَ وانتكس، وَإِذا شِيكَ فَلَا انتَقَش»؛

تَعِسَ؛ من التعس والشر، يقال تعس فلان؛ أي إذا دعا عليه الإنسان بأن يلزمه شر.

وَالقَطِيفَة؛ نوع من الكساء. وَالخَمِيصَة؛ ثوب أسود أو أحمر مربع.

تَعِسَ وَانْتَكَسَ؛ النكس عود المرض بعد الشفاء.

وَإِذَا شِيكَ؛ أي إذا أصابته شوكة. فَلاَ انْتَقَشَ؛ دعاء عليه بألا يستطيع إخراج تلك الشوكة بالمنقاش، ومن صعب عليه إخراج الشوكة في قدمه فإنه يتعسر عليه، ويتعذر عليه المشي في طلب الدنيا وتحصيلها؛ فهو دعاء من النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون هذا العبد يطلب الدنيا ولا يحصلها، نسأل الله السلامة والعافية.

- المتــن:

فدلَّ هَذَا على أَن كل مَنْ أحبَّ شَيْئا وأطاعه وَكَانَ غَايَة قَصده ومطلُوبه، ووالى لأَجله وعادى لأَجله؛ فَهُوَ عَبْدُه، وَكَانَ ذَلِك الشَّيْء معبودَه وإلهه.

وَيدل عَلَيْهِ أَيْضا أَن الله تعالى سمى طَاعَة الشَّيْطَان فِي مَعْصِيَته عبادَة للشَّيْطَان كَمَا قَالَ تعالى: {ألم أَعهد إِلَيْكُم يَا بني آدم أَن لَا تعبدوا الشَّيْطَان} وَقَالَ تعالى حاكيا عَن خَلِيله ابراهيم عَلَيْهِ السَّلَام لِأَبِيهِ: {يَا أَبَت لَا تعبد الشَّيْطَان إِن الشَّيْطَان كَانَ للرحمن عصيا} فَمن لم يتَحَقَّق بعبودية الرَّحْمَن وطاعته فانه يعبد الشَّيْطَان بِطَاعَتِهِ لَهُ وَلم يخلص من عبَادَة الشَّيْطَان إِلَّا من أخْلص عبودية الرَّحْمَن وهم الَّذين قَالَ فيهم: {إِن عبَادي لَيْسَ لَك عَلَيْهِم سُلْطَان} فهم الَّذين حققوا قَول لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَخْلصُوا فِي قَوْلهَا وَصَدقُوا قَوْلهم بفعلهم فَلم يلتفتوا إِلَى غير الله محبَّة ورجاء وخشية وَطَاعَة وتوكلا وهم الَّذين صدقُوا فِي قَول لَا إِلَه إِلَّا الله وهم عباد الله حَقًا.

- الشــــرح:

اعلموا حفظكم الله أنه ما من محبوب إلا وله نصيب من القلب، وكل ما أحبه العبد فإنه يجذب ذلك القلب إليه، ويدفعه عن غير محبوبه، ونحن كُنّا قد ذكرنا أن المحبة هي: أصل التوحيد وأصل الإيمان، فمن وُجد في قلبه شيء من المحبوبات الدنيوية فإنها تزاحم محبة الله سبحانه وتعالى ولا نعني هنا المحبة الفطرية؛ كمحبة الوالدين، والولد، والزوجة، إلى غير ذلك.

والقلب أيها الأحبة يندفع عن كمال محبة الله شيئًا فشيئًا، بقدر ما قد يزاحمه من المحبوبات الدنيوية الأخرى، ومن أراد أن يعلم صدق محبته لله سبحانه وتعالى فليفتش في عمله، وليعرضه على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَتَّى يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» فيقدم محبة الله ورسوله على محبة من سواهما، طاعة وعملاً ونهيًا وأمرًا.

فإن صدق المحبة تقتضي أن يكون العبد بالله ولله، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)} الأنعام.

وكل من لم يعبد الله مخلصًا له الدين، فلا بد وأن يكون قد أشرك بالله سبحانه وتعالى، ونحن هنا نتكلم عن الإخلاص، فانتبه.

والله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ أوليائه وهم من انعقدت في قلوبهم محبة الله سبحانه وتعالى حقيقة، فإبليس الرجيم قد قال: {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)} ص. والله سبحانه وتعالى يقول: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)} النحل.

وتأمل قوله تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ الله إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} يوسف (٢٣). إلى أن قال الله سبحانه وتعالى: {كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} يوسف (٢٤)

فالإخلاص منجاة، والله سبحانه وتعالى يحفظ عباده المخلصين من الذنوب ومن المعاصي. وتأمل في مقابل ذلك قوله سبحانه وتعالى: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧)} الزخرف.

- المتــن:

فَأَما من قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله بِلِسَانِهِ ثمَّ أطَاع الشَّيْطَان وهواه فِي مَعْصِيَة الله ومخالفته فقد كذب فعله قَوْله وَنقص من كَمَال تَوْحِيده بِقدر مَعْصِيَة الله فِي طَاعَة الشَّيْطَان والهوى {وَمن أضلّ مِمَّن اتبع هَوَاهُ بِغَيْر هدى من الله} القصص (٥٠). {وَلَا تتبع الْهوى فيضلك عَن سَبِيل الله} ص.(٢٦).

فيا هَذَا كن عبد الله لَا عبد الْهوى فان الْهوى يهوي بِصَاحِبِهِ فِي النَّار {أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الله الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} يوسف (٣٩).

«تعس عبد الدِّرْهَم تعس عبد الدِّينَار»

وَالله لَا ينجو غَدا من عَذَاب الله إِلَّا من حقق عبودية الله وَحده وَلم يلْتَفت إِلَى شَيْء من الأغيار من علم أَن معبوده الله فَرد فليفرده بالعبودية {وَلَا يُشْرك بِعِبَادَة ربه أحدا} الكهف (١١٠).

- الشـــرح:

لا يعكر عليك ما يذكر هنا ما قد يوجد من الذنوب والمعاصي بحكم الحال البشرية، فلا بد وأن يقارن الإنسان شيئًا من الذنوب والمعاصي، كما قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ الله فَيَغْفِرُ لَهُمْ[1]» لكن حال أهل الإيمان إذا وقع الذنب؛ أن الله سبحانه وتعالى يوفق العبد إلى التوبة والإنابة والرجوع بالصدق والتوحيد؛ ولذا ترى أن القرآن يقرن في غير ما موضع بين التوحيد والاستغفار، كقوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ} محمد (١٩).

وقوله تعالى: {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا الله إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود: ٢-٣]

وكذلك جاء في السنن كقوله صلى الله عليه وسلم في كفارة المجلس: «سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ[2]»ودعاء سيد الاستغفار المعروف[3]، وكذلك الدعاء بعد الوضوء[1]، وهذا كله يوضح معنى دخول الجنة بـ "لا إله إلا الله" فإن أهل التوحيد إذا أصابوا شيئًا من الذنوب أتبعوا ذلك بالتوبة والاستغفار.

١- أخرجه: مسلم (٢٧٤٩).

٢- أخرجه: أبو داود (٤٨٥٩).

٣- أخرجه: البخاري (٥٥٢٢): عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: «سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ».

- المتـن:

كَانَ بعض العارفين يتكَلَّم على أَصْحَابه على رَأس جبل فَقَالَ فِي كَلَامه لَا ينَال أحد مُرَاده حَتَّى ينْفَرد فَردا بفرد فانزعج واضطرب حَتَّى رأى أَصْحَابه أَن الصخور قد تدكدكت وَبَقِي على ذَلِك سَاعَة فَلَمَّا أَفَاق فَكَأَنَّهُ نشر من قَبره.

- الشـــرح:

هذه القصة أوردها بإسناده ابن الجوزي في المنتظم[٢]، وصاحبه: هو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي. والجبل المذكور هو الطور. والقصة المذكورة فيها ما ذكر هنا من تدكدكِ الصخور لاضطراب محمد بن إسماعيل وانزعاجه، وهذا لعله من مبالغات ما ينسب إلى بعضهم من الكرامات – والله أعلم.

- المتـن:

قَول لَا إِلَه إِلَّا الله تَقْتَضِي أَن لَا يحب سواهُ فان الإله هُوَ الَّذِي يطاع فَلَا يَعْصِي محبَّة وخوفا ورجاء وَمن تَمام محبته محبَّة مَا يُحِبهُ وَكَرَاهَة مَا يكرههُ فَمن أحب شَيْئا مِمَّا يكرههُ الله أَو كره شَيْئا مِمَّا يُحِبهُ الله لم يكمل توحيده وَصدقه فِي قَول لَا إِلَه إِلَّا الله وَكَانَ فِيهِ من الشّرك الْخَفي بِحَسب مَا كرهه مِمَّا يُحِبهُ الله وَمَا أحبه مِمَّا يكرههُ الله قَالَ الله تعالى {ذَلِك بِأَنَّهُم اتبعُوا مَا

١– أخرجه: مسلم (٢٣٤): «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، زاد الترمذي (٥٥):اللهمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ..وصححها الألباني في الإرواء (١/ ١٣٥).

٢– انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي (١٣/ ١٢٨).

أَسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أَعْمَالهم} قَالَ اللَّيْث عَن مُجَاهِد فِي قَوْله {لَا يشركُونَ بِي شَيْئا} قَالَ لَا يحبونَ غَيْرِي. وَفِي صَحِيح الْحَاكِم عَن عَائِشَة رَضِي الله عَنْهَا عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ الشّرك فِي هَذِه الْأمة أخْفى من دبيب النَّمْل على الصَّفَا فِي اللَّيْلَة الظلماء وَأَدْنَاهُ أَن تحب على شَيْء من الْجور أَو تبغض على شَيْء من الْعدْل وَهل الدّين إِلَّا الْحبّ والبغض.

- الشـــرح:

الحديث الذي ذكره في صحيح الحاكم عن عائشة رضي الله عنها.. ؛ قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[1]» وتعقبه الذهبي بقوله: عبد الأعلى، قال الدارقطني: ليس بثقة[2]، وقال العقيلي: عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ أَعْيَنَ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، جَاءَ بِأَحَادِيث مُنْكَرَةٍ لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ مَحْفُوظٌ[3]

هذا الذي ذكره المصنف هو معنى قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} الشعراء (٨٩)؛ وهو السليم مما سوى الله سبحانه وتعالى عبادة وإرادة ومحبة.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا: أنه ما من شيء في الوجود يحب لذاته إلا الله سبحانه وتعالى، ولا حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلالته وقدره ومنزلته.

١- انظر: "المستدرك" للحاكم (٣١٤٨).

٢- وقال الدارقطني في: "العلل" (٣٥٣٩): عبد الأعلى بن أعين ضعيف الْحَدِيث، وَالْحَدِيثُ غَيْرُ ثَابِتٍ.

٣- انظر: "الضعفاء الكبير" للعقيلي (١٠٢٤).

فالذي يحب لذاته هو الله سبحانه وتعالى، وأما غير الله سبحانه وتعالى فإنما يحب لله سبحانه وتعالى، أو أن بعضهم قد يحب بعض الناس لأجل غرض دنيوي، أو لأمر فطري.

وذكر رحمه الله قوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ الله وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} محمد (٢٨)؛ وهو مثل قوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ الله فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} محمد (٩). والله سبحانه وتعالى يقول: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِالله وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ} التوبة (٥٤)؛

العبادة التي يقبلها الله سبحانه وتعالى هي؛ العبادة التي يصحبها محبة لتلك العبادة، ونحن قد أشرنا إلى أن المحبة هي أصل الحركات والسكنات، وهي القائد والسائق، وهي أصل التوحيد، وأصل الإيمان في قلوب العباد، فكل ما نُزع عنه المحبة فلا يكون عبادة لله سبحانه وتعالى؛ ولذلك ينبغي استشعار هذه المحبة، في كل ما يتعبد به العبد لله سبحانه وتعالى، وأن يستشعر محبته لربه سبحانه وتعالى، ومحبته لتلك العبادة التي أمر الله سبحانه وتعالى بها، وكذلك في مقابله؛ أن يكره ما يكرهه الله سبحانه وتعالى، فيكون داخلاً في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم حقًّا وصدقًا، فإن محبة النبي صلى الله عليه وسلم تقتضي قبول ما جاء به، كما

قال الله سبحانه وتعالى: {مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله} النساء (٨٠). وكقوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} النساء (٥٩).

- المتــن:

قَالَ الله عز وَجل {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله} آل عمران (٣١)؛ وَهَذَا نَص فِي أَن محبَّة مَا يكرههُ الله وبغض مَا يُحِبهُ مُتَابعَة للهوى والموالاة على ذَلِك والمعاداة فِيهِ من الشّرك الْخَفي. وَقَالَ الْحسن: اعْلَم أَنَّك لن تحب الله حَتَّى تحب طَاعَته. وَسُئِلَ ذُو النُّون مَتى أحب رَبِّي؟ قَالَ: إِذا كَانَ مَا يبغضه عنْدك أَمر من الصَّبْر. وَقَالَ بشر بن السّري: لَيْسَ من أَعْلَام الْحبّ أَن تحب مَا يبغض حَبِيبك. وَقَالَ أَبُو يَعْقُوب النَّهر جوري: كل من ادّعى محبَّة الله وَلم يُوَافق الله فِي أمره فدعواه بَاطِلَة. وَقَالَ يحيى بن معَاذ: لَيْسَ بصادق من ادّعى محبَّة الله وَلم يحفظ حُدُوده. وَقَالَ: رُوَيْم الْمحبَّة الْمُوَافقَة فِي جَمِيع الْأَحْوَال وَأنْشد ... وَلَو قلت لي مت قلت سمعا طَاعَة ... وَقلت لداعي الْمَوْت أهلا ومرحبا ...

وَيشْهد لهَذَا الْمَعْنى أَيْضا قَوْله تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله}؛ قَالَ الْحسن قَالَ أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِنَّا نحب رَبنَا حبا شَدِيدا فَأحب الله أَن يَجْعَل لحبه علما فَأنْزل الله تعالى هَذِه الْآيَة.

وَمن هَاهُنَا يعلم؛ أَنه لَا تتمّ شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله إِلَّا بِشَهَادَة أَن مُحَمَّدًا رَسُول الله، فَإِنَّهُ إِذا علم أَنه لَا تتمّ محبَّة الله إِلَّا بمحبة مَا يُحِبهُ وَكَرَاهَة مَا يكرههُ، فَلَا طَرِيق إِلَى معرفَة مَا يُحِبهُ وَمَا يكرههُ إِلَّا من جِهَة مُحَمَّد الْمبلغ عَن الله مَا يُحِبهُ وَمَا يكرههُ؛ بِاتِّبَاع مَا أَمر بِهِ وَاجْتنَاب مَا نهى عَنهُ، فَصَارَت محبَّة الله مستلزمة لمحبة رَسُوله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وتصديقه ومتابعته، وَلِهَذَا قرن الله بَين محبته ومحبة رَسُوله فِي قَوْله تعالى: {قل إِن كَانَ آباؤكم وأبناؤكم وَإِخْوَانكُمْ} إِلَى قَوْله: {أحب إِلَيْكُم من الله وَرَسُوله} التوبة (٢٤).

كَمَا قرن طَاعَته وَطَاعَة رَسُوله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي مَوَاضِع كَثِيرَة.

وَقَالَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: ثَلَاث من كن فِيهِ وجد بِهن حلاوة الْإِيمَان: أَن يكون الله وَرَسُوله أحب اليه مِمَّا سواهُمَا، وَأَن يحب الرجل لَا يُحِبهُ إِلَّا لله، وَأَن يكره أَن يرجع إِلَى الْكفْر بعد أَن أنقذه مِنْهُ كَمَا يكره أَن يلقى فِي النَّار.

- الشـــرح:

الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ الله فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد: ٨- ٩] فقوله: {وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}؛ أي أحبطها. وكذلك قال في الآية الأخرى: {فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}؛ ولا يحبط العمل كله إلا فيمن لم يكن من أهل الإيمان، بينما المؤمن قد تحبط عبادة واحدة، أو بعض العبادات بسبب ما قد يداخلها، لكن أن يحبط العمل كاملاً؛ فهذا لا يكون في أهل الإيمان، وأهل الإسلام.

ثم تأمل في ما هو أشد من ذلك؛ الله سبحانه وتعالى يقول في التحذير الشديد من طاعة من يكره ما أنزل الله، أي؛ أن يطيع العبد من يكره ما أنزل الله، قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ الله سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَالله يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ الله وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)} محمد.

فإذا كان هذا فيمن يتبع من كره ما أنزل الله، فكيف يكون حال من كره ما أنزل الله! نسأل الله السلامة والعافية، نسأل الله أن يعافينا وإياكم، ويجعلنا ممن يحب الله، ويحب ما أمر الله سبحانه وتعالى به.

- المتــن:

هَذِه حَال السَّحَرَة لما سكنت الْمحبَّة قُلُوبهم سمحوا ببذل النُّفُوس وَقَالُوا لفرعون: {فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ} [طه:٧٢]، وَمَتى تمكنت الْمحبَّة فِي الْقلب لم تنبعث الْجَوَارِح إِلَّا إِلَى طَاعَة

الرب وَهَذَا هُوَ معنى الحَدِيث الآلهي الَّذِي خرجه البُخَارِيّ فِي صَحِيحه وَفِيه وَلَا يزَال عَبدِي يتقرَّب إِلَى بالنوافل حَتَّى أحبه فاذا أحببته كنت سَمعه الَّذِي يسمع بِهِ وبصره الَّذِي يبصر بِهِ وَيَده الَّتِي يبطش بهَا وَرجله الَّتِي يمشي بهَا وَقد قيل إِن فِي بعض الرِّوَايَات فَبِي يسمع وَبِي يبصر وَبِي يبطش وَبِي يمشي وَالْمعْنَى أَن محبَّة الله إِذا استغرق بهَا الْقلب واستولت عَلَيْهِ لم تنبعث الْجَوَارِح إِلَّا إِلَى مراضي الرب وَصَارَت النَّفس حِينَئِذٍ مطمئنة بإرادة مَوْلَاهَا عَن مرادها وهواها.

- الشـــرح:

فهذه هي حال من تَشَرَّب قلبه محبة الله سبحانه وتعالى؛ فجوارحه تنبعث بمرضات الرب جلَّ جلاله، فهؤلاء لمّا قامت تلك المحبة العظيمة في قلوبهم صاروا يعملون بالله، ويدركون به سبحانه، وكان من منَّة الله سبحانه وتعالى عليهم ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث:

فأسماعهم بالله؛ فلا يسمعون إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى.

وأبصارهم بالله؛ فلا يبصرون إلا إلى ما أحله الله سبحانه وتعالى لهم النظر إليه.

وأيديهم لا تبطش إلا بالله؛ فلا تظلم ولا تبغي.

وأرجلهم لا تمشي إلا بالله؛ فهي تمشي إلى مراضي الله سبحانه وتعالى، وإلى ما يحبه الله سبحانه وتعالى.

ومن كان هذا حاله؛ كانت حركاته بالله، وسكناته بالله في أمره ورضاه سبحانه وتعالى، فإن من ألِّف الطاعة؛ استوحشت جوارحه من المعصية ولا بد.

- المتــن:

يَا هَذَا اعبد الله لمراده مِنْك، لَا لمرادك مِنْهُ، فَمن عَبده لمراده مِنْهُ؛ فَهُوَ مِمَّن يعبد الله على حرف، إِن أَصَابَهُ خير اطْمَأَن بِهِ، وَإِن أَصَابَته فتْنَة انْقَلب على وَجهه، خسر الدُّنْيَا وَالْآخِرَة.
وَمَتى قويت الْمعرفَة والمحبة؛ لم يرد صَاحبهَا إِلَّا مَا يُرِيد مَوْلَاهُ.
وَفِي بعض الْكتب السالفة؛ من أحب الله لم يكن شَيْء عِنْده آثر من رِضَاهُ، وَمن أحب الدُّنْيَا لم يكن شَيْء عِنْده آثر من هوى نَفسه.
وروى ابْن أبي الدُّنْيَا باسناده عَن الْحسن قَالَ: مَا نظرت ببصري، وَلَا نطقت بلساني، وَلَا بطشت بيَدي، وَلَا نهضت على قدمي؛ حَتَّى أنظر على طَاعَة الله، أَو على مَعْصِيَته، فان كَانَت طَاعَة؛ تقدّمت، وَإِن كَانَت مَعْصِيّة؛ تَأَخَّرت.
هَذَا حَال خَواص المحبين الصَّادِقين؛ فافهموا رحمكم الله هَذَا، فَإِنَّهُ من دقائق أسرار التَّوْحِيد الغامضة، وَإِلَى هَذَا الْمقَام أَشَارَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي خطبَته لما قدم الْمَدِينَة حَيْثُ قَالَ: أَحبُّوا من كل قُلُوبكُمْ. وَقد ذكرنَاهَا ابْن اسحاق، وَغَيره.

- الشـــرح:

أشار هنا إلى قضية عظيمة، إذا لاحظت إلى هذه الرسالة؛ فالتنبيه فيها على دقائق المسائل، التي يحتاج إليها كل متنسك متعبد لله سبحانه وتعالى راغب في ما عند الله سبحانه وتعالى، والدار الآخرة، راغب في إصلاح توحيده.

يقول رحمه الله: يا هذا اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبد الله على حرف؛ المراد هنا؛ أن يكون مقصد العبد توحيد الله سبحانه وتعالى، وأداء أمره، والانتهاء عن نهيه، يقول الله سبحانه وتعالى {فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} البقرة (٢٠٠).

ويقول سبحانه وتعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٦)} هود. فتأمل في قوله: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا}؛ وتحت هذا يا إخوة، مسائل يطول ذكرها، ولكن الإشارة هنا إلى أن العبد يجعل العبادة أصلاً، لا تبعًا؛ فلا تجعل مقصودك من الدنيا أصلاً، وتجعل العبادة تبعًا له، بل اجعل العبادة أصلاً، ومقصودك من الدنيا تبعًا، وإن كان الأكمل أن تجعل العبادة أصلاً ولا تجعل ضمن ذلك شيئًا من مطلوبات الدنيا.

وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} [الحج: ٢٧-٢٨] ؛ ففي ضمن الحج منافع دينية، ومنافع دنيوية من التجارات ونحو ذلك، لكن هذا لا يكون هو الأصل، بل يكون ذلك تبعًا للحج. فلا تجعل التجارة هي الأصل، ويكون الحج تبعًا لها، بل يكون

الأمر على العكس، وهذا لا يعرف بكلمة اللسان، بل يعرف بما يقوم في قلب العبد من صدق النية، بقصده لعبادة الله سبحانه وتعالى وجعله لكل مطلوبات الدنيا تبعًا لتلك العبادة، لا أن يجعل عبادة الله سبحانه وتعالى تابعة لغيرها من المطلوبات الدنيوية.

وفي قوله: وإلى هذا المقام أشار النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته لما قدم المدينة حيث قال: "أحبوا من كل قلوبكم"؛ وفي ضبط: " أَحِبُّوا الله مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ[1]" هذا أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مرسلاً.

- المتـن:

فإن من أمتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه شيء أفرغ من إرادات النفس والهوى.

- الشـــرح:

يعني أنه يفرغ قلبه من إرادات النفس، ومن الهوى.

١ – أخرجه: البيهقي في: "دلائل النبوة" (٢/ ٥٢٤).

- المتـن:

وإلى ذلك أشار القائل بقوله:

أروح قد ختمت علـــى فُؤَادِي ... بحبك أَن يحـــل بِهِ سواكا

فَلَو أَنِّي اسْتَطَعْت غضضت طرفِي ... فَلـــم أنظر بِهِ حَتَّى أراكا

أحبـــك لَا ببعضي بـــل بكلي ... وَإِن لم يبْق حبك لي حـــراكا

وَفِي الأحبـاب مَخْصُوص بوجد ... وَآخـــر يَدعِي مَعَه اشتراكا

إِذا اشتبكت دمـــوع فِي خدود ... تبين من بكـــا مِمَّن تبـــاكى

فَأَما من بَكَـــى فيذوب وجدا ... وينطق بالهوى من قد تشاكا

- الشــــرح:

أروح قد ختمت علـــى فُؤَادِي ... بحبك أَن يحـــل بِهِ سواكا؛ فيكون الحب، والمحبة لله سبحانه وتعالى.

فَلَو أَنِّي اسْتَطَعْت غضضت طرفِي ... فَلـــم أنظر بِهِ حَتَّى أراكا؛ أي أنني لا أريد أنظر إلا إلى مراضيك وإلى ما فيه رضاك، أو أن يكون المقصود أن أراك في الجنة.

أحبـــك لَا ببعضي بـــل بكلي ... وَإِن لم يبْق حبك لي حـــراكا

وَفِي الأحبـاب مَخْصُوص بوجد؛ يعني أن هنالك من خصَّه المحبوب بشيء من ذلك.

وَآخـــر يَدعِي مَعَه اشتراكا؛ وهنالك آخر يدعي، لكن له اشتراك بمحبوب آخر.

إِذا اشتبكت دمـــوع فِي خدود ... تبين من بكــا مِمَّن تبــاكى؛ وذلك أنه هنالك من يدعي دعوى باطلة، وهنالك من يكون صاحب دعوى حق؛

فَأَما من بَكَـــى فيذوب وجدا؛ والوجد هو: المحبة

وينطـق بالهوى من قد تشاكا؛ وينطق، وفي بعض النسخ: وينطبق، وهي وينطق.

- المتــن:

مَتى بَقِي للمحب حَظّ من نَفسه فَمَا بِيَدِهِ من الْمحبَّة إِلَّا الدَّعْوَى إِنَّمَا الْمُحب من بفنى عَن كُله وَيبقى بحبيبه فَبِي يسمع وَبِي يبصر.

الْقلب بَيت الرب، وَفِي الإسرائيليات يَقُول الله مَا وسعني سمائي وَلَا أَرْضِي ووسعني قلب عَبدِي الْمُؤمن. فَمَتَى كَانَ الْقلب فِيهِ غير الله فَالله أغْنى الْأَغْنِيَاء عَن الشّرك وَهُوَ لَا يرضى بمزاحمة أصنام الْهوى.

- الشــــرح:

والمقصود كما ذكرنا ونبهنا؛ ليس هو المحبة الفطرية، بل هنا المحبة التي لها ارتباط بالعبادة.

- المتــن:

الحق غيور يغار على عبده المؤمن.

- الشــــرح:

الحق يعني: الله سبحانه وتعالى.

- المتــن:

أَن يسكن فِي قلبه سواهُ أَو يكن فِي شَيْء مَا يرضاه.

أردنــاكم صرفا فَلَمَّا مــزجتــم ... بعـدتم بِمِقْدَار التفاتكم عَنَّا

وَقُلْنَا لكم لَا تسكنوا الْقلب غَيرنَا ... فأسكنتم الأغيار مَا أَنْتُم منا

- الشــــرح:

والمقصود هو إفراغ القلب من كل المحاب سوى محبة الله سبحانه وتعالى.

- المتــن:

لَا ينجو غَدا إِلَّا من لَقِي الله بقلب سليم لَيْسَ فِيهِ سواهُ قَالَ الله تَعَالَى {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)} الشعراء.

الْقلب السَّلِيم؛ هُوَ الطَّاهِر من أدناس المخالفات، فَأَما المتلطخ بِشَيْء من المكروهات فَلَا يصلح لمجاورة حَضْرَة القدوس إِلَّا بعد أَن يطهر فِي كير الْعَذَاب، فَإِذا زَالَ عَنهُ الْخبث صلح حِينَئِذٍ للمجاورة؛ إِن الله طيب لَا يقبل إِلَّا طيبا

- الشــــرح:

والعبد المؤمن يسعى في أن يكون العمل خالصًا لله سبحانه وتعالى، وأن يكون القلب فارغًا إلا من الله سبحانه وتعالى، الكمال يا إخوة مطلوب، والعبد قد يحتاج إلى أن يدفع نفسه، وأن يدافع هواه؛ فيدفع نفسه إلى تحصيل ذلك الكمال، ويدافع ذلك الهوى الذي قد يبعده عن تحصيل ذلك الكمال، والله سبحانه وتعالى معين للعبد إذا صدق مع ربه سبحانه وتعالى وقصده، ولذلك سبحان الله كم ترى من الناس من يصارع كثيرًا من الشهوات

والملذات، وهو مأجور بلا شك على ذلك، وهنالك من يطلب صلاح نفسه وصلاح حاله، وهو لا يلتفت إلى إصلاح حاله من هذا الجانب العظيم؛ وهو صدقه مع ربه سبحانه وتعالى، وإخلاصه لربه سبحانه وتعالى، والالتفات إلى الله عز وجل، ولذلك كان التوكل الصحيح الذي يكون فيه عمل بالأسباب مع ترك الاعتماد عليها، أو الالتفات إليها، إنما يكون عمل بالأسباب مع عدم الاعتماد أو الالتفات إليها، فالاعتماد عليها دون الله سبحانه؛ شرك أكبر،

والالتفات إليها؛ شرك أصغر، فلا ينبغي للعبد لا أن يعتمد على الأسباب ولا أن يلتفت قلبه إلى الأسباب، فهي لم تكن أسبابًا لولا أن الله سبحانه وتعالى جعلها أسبابًا.

فاقصد الله سبحانه وتعالى، وتعلق بربك سبحانه، وأخلص له، وأصدق معه، واطلبه سبحانه، فضله واسع لا يرده عمَّن صدق وأخلص له سبحانه وتعالى، وأراد ما عنده، وابتغى وجه الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى كريم، يتودد إلى عباده ويتقرب إلى عباده سبحانه وتعالى أن تعطي من نفسك، وتعمل من نفسك، وتحاول أن تتقرب من الله سبحانه وتعالى، ولكن تذكر أن الله سبحانه وتعالى إن تقربت إليه شبرًا، تقرب إليك ذِراعًا، وإن تقربت إليه ذِراعًا تقرب إليك باعًا، وإن أتيته تمشي أتاك هرولة. فالله سبحانه وتعالى أسرع إلى عبده من العبد إلى ربه سبحانه وتعالى، فهو ذو الفضل الواسع سبحانه وتعالى، وفضله لا يرد عن عباده، نسأل الله لي ولكم فضله.

- المتــن:

فَأَما الْقُلُوب الطّيبَة فتصلح للمجاورة من أول الْأَمر {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} الرعد (٢٤). {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} الزمر (٧٣). {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} النحل (٣٢). من لم يحرق الْيَوْم قلبه بِنَار الأسف على مَا سلف أَو بِنَار الشوق إِلَى لِقَاء الحبيب فَنَار جَهَنَّم لَهُ أَشد حرا. مَا يحْتَاج إِلَى التَّطْهِير بِنَار جَهَنَّم إِلَّا من لم يكمل تَحْقِيق التَّوْحِيد وَالْقِيَام بحقوقه. أول من تسعر بِهِ النَّار من الْمُوَحِّدين الْعباد؛ المراؤون بأعمالهم وأولهم الْعَالم والمجاهد والمتصدق للرياء لِأَن يسير الرِّيَاء شرك.

مَا نظر الْمَرَائِي إِلَى الْخلق بعلمِهِ إِلَّا لجهله بعظمة الْخَالِق يزور التوقيع على اسْم الْملك ليَأْخُذ البراطيل لنَفسِهِ ويوهم أَنه من خَاصَّة الْملك، وَهُوَ مَا يعرف الْملك بِالْكُلِّيَّةِ.

نقش الْمَرَائِي على الدِّرْهَم الزائف اسْم الْملك ليروج، والبهرج لَا يجوز إِلَّا على غير النَّاقِد، وَبعد أهل الرِّيَاء؛ يدْخل النَّار أَصْحَاب الشَّهْوَة، وَعبيد الْهوى الَّذين أطاعوا هواهم وعصوا مَوْلَاهُم، فَأَما عبيد الله حَقًا؛ فَيُقَال لَهُم {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)} الفجر.

جَهَنَّم تنطفئ بِنور إِيمَان الْمُوَحِّدين، وَفِي الحَدِيث تَقول النَّار لِلْمُؤمنِ جز يَا مُؤمن فقد أطفأ نورك لهبي. وَفِي الْمسند عَن جَابر عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: لَا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخلَهَا، فَتكُونُ عَلَى الْمُؤمنِينَ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِم.

- الشـــرح:

وَفِي الحَدِيث تَقول النَّار لِلْمُؤمنِ جز يَا مُؤمن فقد أطفأ نورك لهبي؛ أخرجه البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية[١]، وقال البيهقي: تَفَرَّدَ بِهِ سُلَيْمُ بْنُ مَنْصُورٍ وَهُوَ مُنْكَرٌ.

وحديث جابر الذي في المسند[٢]؛ وأخرجه البيهقي في الشعب[٣]، وقال: هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ، ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخ، وَشَاهِدُهُ في الْحدِيث الثَّابِتُ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ. وتعقبه الألباني في الضعيفة، وضعفه[٤].

- المتـن:

هَذِه مِيرَاث وَرَثَة المحبون من حَال الْخَلِيل عَلَيْهِ السَّلَام.

- الشـــرح:

تأمل في حال الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ اصطفاه الله سبحانه وتعالى لمنزلة الخُلَّة فجعله خليلاً للرحمن، ولمّا أراد الله سبحانه وتعالى أن يفرغ قلبه من المحبوبات ابتلاه سبحانه وتعالى في الزوجة والولد؛ فابتلاه سبحانه وتعالى في الزوجة، فأخذها إلى واد غير ذي زرع وهو واد مكة، وإسماعيل عليه الصلاة والسلام لمّا بلغ معه السعي، وكان ينتظر الولد.

١- أخرجه: البيهقي في: "الشعب" (٣٦٩). وأبو نعيم في: "الحلية" (٩/ ٣٢٩).

٢- أخرجه: أحمد (١٤٥٢٠).

٣- أخرجه: البيهقي في: "الشعب" (٣٦٤).

٤- انظر: "الضعيفة" للألباني (٤٧٦١).

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ الصافات (١٠٢)؛ فابتلاه الله سبحانه وتعالى في الولد، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يخلص ذلك القلب من محبوبات الدنيا ليفرغه لربه سبحانه وتعالى، وكان للخليل أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام تلك المنزلة التي رفعه الله سبحانه وتعالى بها، فالعبد وإن كان ولا شك أنه قد يوجد في قلبه محاب فطرية ولكن أحيانًا قد تكون بعض المحاب الفطرية صارفة للعبد عن كمال محبة الله سبحانه وتعالى؛ فيكون إفراغ القلب، أو تعديل تلك المحبة الفطرية إلى ما ينبغي أن تكون عليه، لكي يكون القلب متهيئًا لمحبة الله سبحانه وتعالى، قابلاً لها، راسخة فيه، فالله سبحانه وتعالى يبتلي عباده بصنوف الابتلاءات لأجل أن يكون العبد كهذا الحال نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من خاصته وأهله سبحانه.

- المتــن:

نَار الْمحبَّة فِي قُلُوب المحبين تخَاف مِنْهَا نَار جَهَنَّم.

- الشـــرح:

هي بلا شك أقوى منها، نار المحبة، محبة الله أشد من نار جهنم.

- المتــن:

قَالَ الْجُنَيْد: قَالَت النَّار يَا رب لَو لم أطعك هَل كنت تعذبني بِشَيْء أَشد مني؟ قَالَ: أسلط عَلَيْك نَارِي الْكُبْرَى، قَالَت: وَهل نَار أعظم مني وَأَشد؟ قَالَ: نعم نَار محبتي أسكنتها قُلُوب أوليائي الْمُؤمنِينَ.

قفـــا قَلِيلا بهَا عَليّ فَـلَا ... أقـل من نظرة أزودها

فَفِي فؤاد الْمُحب نَار جوى ... أحر نَار الْجَحِيم أبردها.

- الشــــرح:

الجوى: هو شدة الاحتراق من العشق والمحبة، وهو يوضح هنا شدة المحبة التي تكون في القلب حتى إن القلب يحترق لأجل هذه المحبة.

- المتــن:

فلولا دموع المحبين تُطْفِئ بعض حرارة الوجد لَاحْتَرَقُوا كمدا.

- الشــــرح:

من شدة الحزن.

- المتــن:

دَعوه يطفي بالدموع حرارة ... على كبد حري دَعوه دَعوهُ ...

سلوا عاذليه يعذروه هنيهة ... فبالعذل دون الشوق قد قَتَلُوهُ

- الشـــرح:

والعذل: هو اللوم.

- المتـن:

كَانَ بعض العارفين يَقُول: أَلَيْسَ عجبا أَن أكون بَين أظْهركُم وَفِي قلبِي من الاشتياق إِلَى رَبِّي مثل الشعل الَّتِي لَا تنطفئ.

وَلم أر مثل نَار الْحبّ نَارا ... تزيد بِبعد موقدها اتقادا.

مَا للعارفين شغل بِغَيْر مَوْلَاهُم، وَلَا هم فِي غَيره، وَفِي الحَدِيث: من أصبح وهمه غير الله فَلَيْسَ من الله.

- الشـــرح:

«مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ غَيْرُ الله فَلَيْسَ مِنَ الله»؛ هذا أخرجه الحاكم في المستدرك[١]، وقال الذهبي: إسحاق ومقاتل ليسا بثقتين ولا صادقين. وقال الألباني: ضعيف جدًّا[٢]، قال قبله البيهقي: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ[٣].

١- أخرجه: الحاكم في: "المستدرك" (٧٩٠٢).

٢- انظر: "الضعيفة" (٣٠٩).

٣- انظر: "الشعب" (١٠١٠٢).

- المتــن:

قَالَ بَعضهم: من أخْبرك أَن وليه لَهُ هم فِي غَيره فَلَا تصدقه. وَكَانَ دَاوُد الطَّائِي يَقُول: همك عطل عَليّ الهموم، وحالف بيني وَبَين السهاد.

- الشـــرح:

السهاد؛ هو الأرق، وذهاب النوم.

- المتــن:

وشوقي إِلَى النّظر إِلَيْك أوبق مني اللَّذَّات وَحَال بيني وَبَين الشَّهَوَات فَأَنا فِي سجنك أَيهَا الْكَرِيم مَطْلُوب.

- الشـــرح:

الدنيا كما قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ[١]»

- المتــن:

مَالِي شغل سواهُ مَالِي شغل ... مَا يصرف عَن هَوَاهُ قلبِي عذل

مَا أصنع إِن جَفا وخاب الأمل ... مني بدل وَمِنْه مَالِي بدل ...

إخْوَانِي إِذا فهمتم هَذَا الْمَعْنى؛ فهمتم معنى قَوْله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: "من شهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله صَادِقا من قلبه حرمه الله على النَّار"؛ فَأَما من دخل النَّار من أهل هَذِه الْكَلِمَة فلقلّة صدقه فِي قَوْلهَا، فان هَذِه الْكَلِمَة إِذا صدقت طهرت الْقلب من كل مَا سوى الله،

---

١ – أخرجه: مسلم (٢٩٥٦).

وَمَتى بَقِي فِي الْقلب أثر سوى الله فَمن قلَّة الصدْق فِي قَوْلهَا، من صدق فِي قَول لا إله إِلَّا الله؛ لم يحب سواهُ، وَلم يرج سواهُ، وَلم يخْش أحدا إِلَّا الله، وَلم يتوكل إِلَّا على الله، وَلم يبْق لَهُ بَقِيَّة من آثَار نَفسه وهواه، وَمَعَ هَذَا فَلَا تظنوا أَن الْمُحب مطَالب بالعصمة وَإِنَّمَا هُوَ مطَالب كلما زل أَن يتلافى تِلْكَ الوصمة.

قَالَ زيد بن أسلم: إِن الله لَيُحِب العَبْد حَتَّى يبلغ من حبه لَهُ أَن يَقُول اذْهَبْ فاعمل مَا شِئْت فقد غفرت لَك.

وَقَالَ الشّعبِيّ إِذا أحب الله عبدا لم يضرّهُ ذَنْب.

- الشـــرح:

ما يمكن للمحب أن يكون معصومًا في كل وقت، فهو ليس بمطالب بالعصمة، المعصوم: رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن المطلوب؛ أن تعظم تلك المحبة في قلبه، حتى إذا زاحمها شيء من محبوبات الدنيا دفعها ورجع إلى ربه سبحانه وتعالى، فتراه إذا أذنب استغفر، وكلما أذنب استغفر، وهذا هو معنى الحديث الذي جاء عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ

غَفَرْتُ لَكَ»[١]؛ فهذا هو المعنى، لا أن المعنى أن العبد بمجرد أنه يستغفر دون استحضار التوحيد والصدق مع الله سبحانه وتعالى يقال له: اصنع ما شئت، بل هذا خاص بأهل التوحيد الصادقين، الذين صدقوا مع الله سبحانه وتعالى وأخلصوا لله حقًّا وصدقًا.

- المتـن:

وَتَفْسِير هَذَا الْكَلَام؛ أَن الله عز وَجل لَهُ عناية بِمن يُحِبهُ فَكلما زلق ذَلِك العَبْد فِي هوة الْهوى أَخذ بِيَدِهِ إِلَى نجوة النجَاة ييسر لَهُ التَّوْبَة وينبهه على قبح الزلة فَيفزع إِلَى الاعتذار ويبتليه بمصائب مكفرة لما جنى.

- الشـــرح:

وتأمل فيما سبق من اقتران التوحيد بالاستغفار، ومن قصة يوسف عليه الصلاة والسلام حين همت به امرأة العزيز.

- المتـن:

وَفِي بعض الْآثَار يَقُول الله تعالى: أهل ذكرى أهل مجالستي وَأهل طَاعَتي أهل كَرَامَتِي وَأهل معصيتي لَا أويسهم من رَحْمَتي إِن تَابُوا فَأَنا حبيبهم وَإِن لم يتوبوا فَأَنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب.

١- أخرجه: مسلم (٢٧٥٨).

- الشــــرح:

قال الألباني رحمه الله تعالى بعد تخريجه لحديثه عند أحمد، وكان قد ضعفه: ونقله الشيخ إسماعيل الأنصاري في تعليقه على "الوابل الصيب" دون أي تحقيق أو تعليق، وفي اعتقادي أن عزوه لأحمد في "المسند" بهذا الطول خطأ، وعليه لوائح الإسرائيليات"[١].

- المتــن:

وَفِي صَحِيح مُسلم: عَن جَابر عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ الْحمى تذْهب الْخَطَايَا كَمَا يذهب الْكِير الْخبث"[٢].

وَفِي الْمسند، وصحيح ابْن حبَان؛ عَن عبد الله بن مُغفل أَن رجلا لَقِي امْرَأَة كَانَت بغيا فِي الْجَاهِلِيَّة فَجعل يلاعبها حَتَّى بسط يَده إِلَيْهَا فَقَالَت مَه فان الله قد أذهب الشّرك وَجَاء بِالْإِسْلَامِ فَتَركهَا وَولى فَجعل يلْتَفت خَلفه ينظر إِلَيْهَا حَتَّى أصَاب الْحَائِط وَجهه فاخبر النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بِالْأَمر فَقَالَ: أَنْت عبد أَرَادَ الله بك خيرا ثمَّ قَالَ إِن الله إِذا أَرَادَ بِعَبْدِهِ شرا أمسك ذَنبه حَتَّى يوافى بِهِ يَوْم الْقِيَامَة.

- الشــــرح:

الله سبحانه وتعالى إذا أراد بعبده شرًّا أمسك عنه الابتلاء، وأمسك عنه المصائب في الدنيا، حتى يوافى يوم القيامة بتلك الذنوب وصحائف الأعمال التي لم تكفر في هذه الدنيا بشيء من المصائب والابتلاءات، ولا شك أن العبد إذا أصيب بشيء من الابتلاءات

١- انظر: "الضعيفة" (٤٣٩٢).

٢- أخرجه: مسلم (٢٥٧٥).

والمصائب فإنه لا يكون في قلبه طلب لثبات ذلك الابتلاء، بل العبد يسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث[١]، وهذا كان يأمر به أصحابه.

ولذلك نبه أهل العلم على خطأ يقع فيه بعض العباد والمتنسكة في أنهم يقولون: إنما نعبد الله محبة، وكان بعضهم يدعو على نفسه بالبلاء لأجل أن يكون هذا له كالخلاص في هذه الدنيا من الذنوب والمعاصي، وبعضهم كان يقول عن نفسه: أنه بلغ ما بلغ من الأشياء والأسباب التي تمنع عنه الفتنة في حصول البلاء.

وهذا قد حصل لطائفة من العباد والنساك فبعضهم كان يدعو على نفسه بالبلاء فابتلاه الله أجلكم الله بعسر البول، فيقول: قد دعوتُ بما لا طاقة لي به.

كان ينظر إلى نفسه أنه بلغ منزلة من الصبر على البلاء ما قد يكون فيه من أولياء الله، لكن العبد ينبغي عليه التواضع، وأن يسأل ربه سبحانه وتعالى العفو والعافية، والخلاص من البلاء.

والبلاء للمؤمن لابد وأن يصيبه، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ[٢]»

١- أخرج أبو داود (٥٠٧٤): عَنْ جُبَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ، حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي».

٢- أخرجه: الترمذي (٢٣٩٨)، وأبو نعيم في: "الحلية" (١٠/ ٩٩) والحاكم في "المستدرك" (٨٢٣١) وبوب له البخاري في صحيحه: بَابٌ: أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ.

وأما حديث المسند الذي ذكره: عَن عبد الله بن مُغفل: أَن رجلا لَقِي امْرَأَة كَانَت بغيا فِي الْجَاهِلِيَّة؛ وهي التي لا تصون عرضها. والحديث أخرجه: أحمد[1]، والترمذي وحسَّنه، والحاكم وصحَّحه، وصححه الذهبي، والألباني.

- المتـن:

يَا قوم قُلُوبكُمْ على أصل الطَّهَارَة وَإِنَّمَا أَصَابَهَا رشاش من نَجَاسَة الذُّنُوب فرشوا عَلَيْهَا قَلِيلا من دموع الْعُيُون وَقد طهرت

اعزموا على فطام النُّفُوس عَن رضَاع الْهوى فالحمية رَأس الدَّوَاء مَتى طالبتكم بمألوفاتها فَقولُوا مقَالَة تِلْكَ الْمَرْأَة لذَلِك الرجل الَّذِي دمي وَجهه أذهب الله الشّرك وَجَاء بِالْإِسْلَامِ وَالْإِسْلَام يَقْتَضِي الاستسلام والانقياد للطاعة.

- الشـــرح:

هذا هو تعريف الإسلام: هو الاستسلام لله سبحانه وتعالى والانقياد له بالطاعة.

- المتـن:

ذكروها مِدْحَة {إِن الَّذين قَالُوا رَبنَا الله ثمَّ استقاموا} الأحقاف (١٣). نحن إِلَى الاسْتقَامَة

عرفوها اطلَاع من هُوَ أقرب إِلَيْهَا من حَبل الوريد لَعَلَّهَا تَسْتَحي من قربه وَنَظره {ألم يعلم بِأَن الله يرى} العلق (١٤). {إِن رَبك لبالمرصاد} الفجر (١٤).

١- أخرجه: أحمد (١٦٨٠٦)، والترمذي (٢٣٩٦)، وابن حبان (٢٩١١)، والحاكم في المستدرك (١٢٩١)، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٢٢٠).

راود رجل امْرَأَة فِي فلاة لَيْلًا فَأَبت فَقَالَ لَهَا مَا يَرَانَا إِلَّا الْكَوَاكِب قَالَت فَأَيْنَ مكوكبها.

أكره رجل امْرَأَة على نَفسهَا وأمرها بغلق الْأَبْوَاب فَقَالَ لَهَا هَل بَقِي بَاب لم يغلق قَالَت نعم الْبَاب الَّذِي بَيْننَا وَبَين الله تَعَالَى فَلم يتَعَرَّض لَهَا.

رأى بعض العارفين رجلا يكلم امْرَأَة فَقَالَ إِن الله يراكما سترنا الله وإياكما.

سُئِلَ الْجُنَيْد: بِمَ يستعان على غض الْبَصَر؟ قَالَ: بعلمك أن نظر الله أسبق من نظرك إِلَيْهِ.

قَالَ المحاسبي: المراقبة علم الْقلب بِقرب الرب، كلما قويت الْمعرفَة بِاللَّه قوي الْحيَاء من قربه وَنَظره.

وصى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً أن يستحي من الله كما يستحي من رجل صالح من عشيرته لا يفارقه.

قَالَ بَعضهم استح من الله على قدر قربه مِنْك، وخف الله على قدر قدرته عَلَيْك.

كَانَ بَعضهم يَقُول لي: مُنْذُ أَرْبَعِينَ سنة مَا خطوت لغير الله، وَلَا نظرت إِلَى شَيْء أستحسنه حَيَاء من الله عز وَجل.

كَأَن رقيبا مِنْك يرْعَى خــواطري ... وَآخر يرْعَى ناظري ولساني
فَمَا أبْصرت عَيْنَايَ بعْــدك منْظرًا ... لغيرك إِلَّا قلت قد رمقاني
وَلَا بدرت مـــن فِي بعْدك لَفْظَة ... لغيرك إِلَّا قلت قد سمعاني
وَلَا خطرت من ذكر غَيْرك خطرة ... على الْقلب إِلَّا عرجا بعناني.

- الشـــرح:

وهذا يا إخوة يتحقق بمقام المراقبة، ومقام المراقبة يحتاج إليه كل عبد مسلم؛ وهو أن يراقب الله سبحانه وتعالى في أفعاله، ويتحقق بمعنى اسم الله سبحانه وتعالى الرقيب؛ فيعلم أن الله سبحانه وتعالى رقيب على أفعاله، على أعماله، على صنائعه، وأن الله سبحانه وتعالى ناظر إلى العبد وإلى ما يعمله العبد.

والذكرى في قوله: {إِن الَّذين قَالُوا رَبنَا الله ثمَّ استقاموا}؛ هو تذكير بأن العبد يذكر الله سبحانه وتعالى بتوحيده، وإخلاص العبادة له، في قلبه، وفي لسانه، وفي جوارحه، ثم يستقيم على ما استقر في قلبه، وما نطق به لسانه ويستقيم على ذلك، ويبقى على ذلك.

وإذا أراد أن يديم شأنه على هذا الأمر، فيُعَرِّف نفسه إطلاع الله سبحانه وتعالى عليه وعلمه بخفايا أعماله، وإحاطته سبحانه وتعالى بِما يصنعه العبد في كل حال وفي كل وقت.

وحديث: وصى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً أن يستحي من الله كما يستحي من رجل صالح من عشيرته لا يفارقه؛ أخرجه البيهقي في الشعب[1]، وقال الألباني: ضعيف.

---

١ - أخرجه: البيهقي في: "الشعب" (٧٣٤٣)، وضعفه الألباني في تحقيق كلمة الإخلاص.

- المتـن:

فصل فِي فَضَائِل لَا إِلَه إِلَّا الله؛ وَكلمَة التَّوْحِيد لَهَا فَضَائِل عَظِيمَة لَا يُمكن هَا هُنَا استقصاؤها فلنذكر بعض مَا ورد فِيهَا.

- الشـــرح:

وهذا يذكرك وكأنه يلخص لك ما سبق، ويحضك على الاستمساك به، فختم الرسالة بهذا الفصل.

فما سبق شأنه عظيم يحتاج إليه كل عبد موحد لله سبحانه وتعالى عابد لله عز وجل، كل من أراد أن يخلص عبوديته لله سبحانه وتعالى فهذا تحضيض منه رحمه الله تعالى لك أن تستمسك بما سبقت الإشارة إليه.

- المتـن:

فَهِيَ كلمة التَّقْوَى كَمَا قَالَ عمر رَضِي الله عَنهُ من الصَّحَابَة.

- الشـــرح:

فَهِيَ كلمة التَّقْوَى كَمَا قَالَ عمر رَضِي الله عَنهُ؛ هذا ثبت عن عمر رضي الله عنه عند أحمد[1] وهو صحيح، وسميت كلمة التقوى: لأنها أصل التقوى، وكل عمل إنما يندرج تحت

---

١ – أخرجه: أحمد (٤٤٧): عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَبَانَ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَنَا أُحَدِّثُكَ مَا هِيَ، هِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ الَّتِي أَلْزَمَهَا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى الَّتِي أَلَاصَ عَلَيْهَا نَبِيُّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ عِنْدَ الْمَوْتِ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله» وأخرجه: أحمد (٢١٢٥٥)،

"لا إله إلا الله"، والتقوى: أن تجعل بينك وبين الحرام وقاية، أو أن تعمل بمراد الله على نور من الله، وكذلك أن تنتهي عما نهى الله عنه على نور من الله سبحانه.

- المتـن:

وَهِي كلمة الْإِخْلَاص وَشَهَادَة الْحق ودعوة الْحق وَبَرَاءَة من الشّرك وَنَجَاة هَذَا الْأَمر ولأجلها خلق الْخلق كَمَا قَالَ تعالى {وَمَا خلقت الْجِنّ وَالْإِنْس إِلَّا ليعبدون}الذاريات (٥٦).

- الشـــرح:

نعم هي كلمة الإخلاص، وسبق تفسيرها في هذه الرسالة، وهي أعظم شهادة، وهي دعوة الحق؛ كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من غير وجه عند الطبراني في الدعاء[1] في تفسير قوله تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} الرعد (١٤).

وهي براءة من الشرك: كما في ما أخرجه أحمد والترمذي في قوله صلى الله عليه وسلم: اقْرَأْ عِنْدَ مَنَامِكَ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ[2].

والترمذي (٣٢٦٥)، مرفوعاً عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الحَسَنِ بْنِ قَزَعَةَ». وَسَأَلْتُ أَبَا زُرْعَةَ، عَنْ هَذَا الحَدِيثِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ".
وصححه مرفوعاً الألباني في: "صحيح الترمذي".

١- انظر: "الدعاء" للطبراني (١٥٨٠).

٢- أخرجه: أحمد (٢٣٨٠٧)، والترمذي (٣٤٠٣) وصححه الألباني في: "التعليقات الحسان" (٧٨٧).

- المتــن:

ولأجلها أرْسلت الرُّسُل وأنزلت الْكتب كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَمَا أرسلنَا من قبلك من رَسُول إِلَّا نوحي إِلَيْهِ أَنه لَا إِلَه إِلَّا أَنا فاعبدون} الأنبياء (٢٥). وَقَالَ تعالى {ينزل الْمَلَائِكَة بِالروحِ من أمره على من يَشَاء من عباده أَن أنذروا أَنه لَا إِلَه إِلَّا أَنا فاتقون} النحل (٢).

- الشـــرح:

وكقوله سبحانه وتعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} الزخرف (٤٥)؛ فالله سبحانه وتعالى جعل دعوة الأنبياء واحدة؛ وهي دعوة أن "لا إله إلا الله".

- المتــن:

وَهَذه الْآيَة أول مَا عدد الله على عباده من النعم فِي سُورَة النعم الَّتِي تسمى النَّحْل. وَلِهَذَا قَالَ ابْن عُيَيْنَة مَا أنعم الله على عبد من الْعباد نعْمَة أعظم من أَن عرفهم لَا إِلَه إِلَّا الله وَإِن لَا إِلَه إِلَّا الله لأهل الْجنَّة كَالْمَاءِ الْبَارِد لأهل الدُّنْيَا ولأجلها أعدت دَار الثَّوَاب وَدَار الْعقَاب، ولأجلها أمرت الرُّسُل بِالْجِهَادِ فَمن قَالَهَا عصم مَاله وَدَمه وَمن أَبَاهَا فَمَاله وَدَمه هدر.

- الشـــرح:

كما مرَّ معنا في حديث الذي في قصة أبي بكر وعمر في قصة قتال مانعي الزكاة.

- المتـن:

وَهِي مِفْتَاح الْجنَّة ومفتاح دَعْوَة الرُّسُل وَبهَا كلم الله مُوسَى كفاحا.

- الشـــرح:

وَبهَا كلم الله مُوسَى كفاحا؛ وما وجدت هذا الذي ذكره رحمه الله، بحثتُ عنه فلم أجده فالله أعلم[١].

- المتـن:

وَفِي مُسْند الْبَزَّار وَغَيره عَن عِيَاض الْأَنْصَارِيّ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: «إِن لَا إِلَه إِلَّا الله كلمة حق على الله كَرِيمَة وَلها من الله مَكَان وَهِي كلمة من قَالَهَا صَادِقًا أَدْخَلَهُ الله الْجنَّة، وَمَنْ قَالَهَا كَاذِبًا حَقَنَتْ دمَهُ، وَأَحْرَزَتْ مَالَهُ، وَلَقِيَ الله غَدًا فَحَاسَبَهُ». وَهِي مِفْتَاح الْجنَّة كَمَا تقدم.

- الشـــرح:

هذا وإن كان معناه صحيح لكن الحديث أخرجه البزار، وأبو نعيم في المعرفة، وضعفه الألباني[١].

١- كفاحاً: أي وجاها، وقال الشاعر: أعَاذِلَ، من تُكْتَبْ لَهُ النَّارُ يَلْقَهَا ... كِفَاحًا، وَمَنْ يُكْتَبْ لَهُ الفَوْزُ يُسْعَدِ.
قال الحكيم الترمذي في نوادر الاصول (١/ ٣٦٢):كفاحا أَي وجاها وَهُوَ كَقَوْلِه شفاها إِلَّا أَن الشفاه للمخلوقين.
ولعل المراد هنا أي كلمه من غير رسول أو ترجمان وذلك في قوله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام حين ناداه من جانب الطور الأيمن: (إِنَّنِي أَنَا الله لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) طه (١٤).

وقوله: أَحْرَزَتْ مَالَهُ؛ أي جعلت ماله في حِرز، فكأنه مصان لا يوصل إليه، وهو يعني: شهادة أن "لا إله إلا الله" فإنها تصون دم ومال العبد المسلم.

- المتــن:

وَهِي ثمن الْجنَّة، قَالَه الْحسن وَجَاء مَرْفُوعا من وُجُوه ضَعِيفَة.

- الشـــرح:

أي جاء مرفوع من وجوه ضعيفة؛ أنها ثمن الجنة، وانظر ما ساقة الألباني رحمه الله تعالى في "الضعيفة[٢]" في ذلك.

- المتــن:

وَمن كَانَت آخر كَلَامه دخل الْجنَّة.

- الشـــرح:

وهذا حديث صحيح ثبت عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ[٣]»؛ فهي أول ما يؤمر به العبد، وآخر ما يؤمر به العبد، فـيؤمر العبد بـ "لا إله إلا الله" ويختم أمره وشأنه بـ "لا إله إلا الله".

١- أخرجه: أبو نعيم في: "معرفة الصحابة" (٥٤٤٢)، والهيثمي في: "مجمع الزوائد" (٥٥)، وضعفه الألباني في: "تحقيق كلمة الاخلاص" (١/ ٥٠).

٢- "السلسلة الضعيفة" للألباني (٣٤٥٧)، ساق كلاماً طويلاً وقال في آخره: ثم رواه أبو نعيم بسند صحيح عن الحسن موقوفاً عليه، وهو الصواب.

٣- أخرجه: أبو داود (٣١١٦).

- المتــن:

وَهِي نجاة من النَّار.

وَسمع النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مُؤذنًا يَقُول أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله فَقَالَ خرج من النَّار خرجه مُسلم[١].

- الشــــرح:

وهذا جاء في فضل المؤذنين، وينبغي على كل من يؤذن أن يخلص لله سبحانه وتعالى حتى ينال هذا الفضل.

- المتــن:

وَهِي توجب الْمَغْفِرَة

فِي الْمسند: عَن شَدَّاد بن أَوْس، وَعبادَة بن الصَّامِت؛ أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ لأَصْحَابه يَوْمًا: ارفعوا أَيْدِيكُم وَقُولُوا لَا إِلَه إِلَّا الله، فرفعنا أَيْدِينَا سَاعَة، ثمَّ وضع رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَده، ثمَّ قَالَ: الْحَمد لله اللهمَّ بعثتني بِهَذِهِ الْكَلِمَة، وأمرتني بهَا، ووعدتني بهَا الْجنَّة وَإنَّك لَا تخلف الميعاد، ثمَّ قَالَ أَبْشِرُوا فَإِن الله قد غفر لكم.

- الشــــرح:

وهذا أخرجه أحمد والبزار والحاكم[٢]، وفي إسناده راشد بن داود[١] والحديث ضعفه الألباني[٢].

١- أخرجه: مسلم (٣٨٢).

٢- أخرجه: أحمد (١٧١٢١)، والبزار (٢٧١٧)، والحاكم (١٨٤٤).

- المتــن:

وَهِي أحسن الْحَسَنَات ؛ قَالَ أَبُو ذَر قلت يَا رَسُول الله كلمني بِعَمَل يقربنِي من الْجنَّة وَيُبَاعِدنِي من النَّار قَالَ إِذا عملت سَيِّئَة فاعمل حَسَنَة فإنها عشر أَمْثَالهَا قلت يَا رَسُول الله لَا إِلَه إِلَّا الله من الْحَسَنَات قَالَ هِيَ أحسن الْحَسَنَات، وَهِي تمحو الذُّنُوب والخطايا.

وَفِي سنَن ابْن مَاجَه عَن أم هَانِئ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله لَا تتْرك ذَنبا وَلَا يسبقها عمل

رُؤِيَ بعض السّلف بعد مَوته فِي الْمَنَام فَسئلَ عَن حَاله فَقَالَ مَا أبقت لَا إِلَه إِلَّا الله شَيْئا.

- الشــــرح:

وهذا أخرجه الطبراني في الدعاء، ولفظه: "هي من أكبر الحسنات[٣]" وليس فيه "هي تمحو الذنوب والخطايا" الحديث حسنه الألباني[٤].

فالعبد مأمور بكثير من الحسنات، لكن أعظم الحسنات التي يأتي بها العبد؛ شهادة أن "لا إله إلا الله" وتحقيق التوحيد الذي لأجلها خلق الله سبحانه وتعالى الخلق، فإذا كان الله

١- قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٢١):رَاشِدُ بْنُ دَاوُدَ ضَعَّفَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ، وَوَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ وَدُحَيْمٌ وَابْنُ حِبَّانَ. وقال الألباني في: "الصحيحة" (٢٠٠٩): وفي راشد بن داود – وهو الصنعاني الدمشقي- خلاف، وثقه ابن معين ودحيم وابن حبان. وقال البخاري: "فيه نظر". وقال الدارقطني: "ضعيف لا يعتبر به". وقال الحافظ في "التقريب": "صدوق له أوهام".

٢- ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٤٦١). وفي تحقيق كلمة الاخلاص.

٣- أخرجه: الطبراني في الدعاء (١٥٠٠):عَنْ أَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله لَا إِلَهَ إِلَّا الله مِنَ الْحَسَنَاتِ؟ قَالَ: «هِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ»

٤- حسنه الألباني في: «تحقيق كلمة الاخلاص» (١/ ٥٥).

قد خلقك لأجل التوحيد فلا شك ولا ريب أن إتيانك بالتوحيد هو أعظم ما يمكن أن تعمل به. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الْحَسَنَاتِ[١].

- المتــن:

وَهِي تجدّد مَا درس من الْإِيمَان فِي الْقلب، وَفِي الْمسند أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ لأَصْحَابه جددوا إيمَانكُمْ قَالُوا كَيفَ نجدد إيمَاننَا قَالَ قُولُوا لَا إِلَه إِلَّا الله.

- الشـــرح:

الحديث؛ أخرجه أحمد، وأبو نعيم، وضعفه الألباني[٢].

لَا إِلَه إِلَّا الله: بلا شك ولا ريب أنها تجدد ما درس من الإيمان؛ لأن ما من شيء أعظم أن يجدد إيمان العبد من توحيد الله سبحانه وتعالى، والصدق في ذلك، وإخلاص العبودية لله سبحانه وتعالى، بل هذا من أعظم ما يدوم به إيمان العبد واستقراره على ذلك.

- المتــن:

وَهِي لَا يعدلها شَيْء فِي الْوَزْن فَلَو وزنت بالسموات وَالْأَرْض رجحت بِهن.

كَمَا فِي الْمسند عَن عبد الله بن عَمْرو عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: أَن نوحًا قَالَ لِابْنِهِ عِنْد مَوته آمُرك بِلَا إِلَه إِلَّا الله فان السَّمَوَات السَّبع وَالْأَرضين السَّبع لَو وضعت فِي كفة وَوضعت لَا إِلَه إِلَّا الله فِي كفة رجحت بهم لَا إِلَه إِلَّا الله وَلَو أَن السَّمَوَات السَّبع وَالْأَرضين السَّبع كن فِي حَلقَة مُبْهمَة فصمتهن لَا إِلَه إِلَّا الله.

١- أخرجه بهذا اللفظ: أبو نعيم في: «الحلية» (٤/ ٢١٨)، وابن عبد البر في: «التمهيد» (٢٤/ ٣٠٠).

٢- أخرجه أحمد (٨٧١٠)، وأبو نعيم في: «الحلية» (٢/ ٣٥٧)، وضعفه الألباني في: «الضعيفة» (٨٩٦).

وَفِيه أَيْضا عَن عبد الله بن عَمْرو عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: أَن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ يَا رب علمني شَيْئا أذكرك وأدعوك بِهِ قَالَ يَا مُوسَى قل لَا إِلَه إِلَّا الله قَالَ لَا إِلَه إِلَّا أَنْت يَا رب إِنَّمَا أُرِيد شَيْئا تخصني بِهِ قَالَ يَا مُوسَى لَو أَن السَّمَوَات السَّبع وعامرهن غَيْرِي وَالْأَرضين السَّبع فِي كفه وَلَا إِلَه إِلَّا الله فِي كفة مَالَتْ بِهن لَا إِلَه إِلَّا الله.

وَكَذَلِكَ ترجح بصحائف الذُّنُوب كَمَا فِي حَدِيث السجلات والبطاقة وَقد خرجه أَحْمد وَالنَّسَائِيّ وَالتِّرْمِذِيّ أَيْضا من حَدِيث عبد الله بن عَمْرو عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم.

- الشـــرح:

وَهِي لَا يعدلها شَيْء فِي الْوَزْن: ويؤكد هذا المعنى؛ حديث البطاقة[1]؛ أن العبد يُنشر له سجل من السيئات فيقول هلكت، ثم يُعطى بطاقة، فتوضع البطاقة في كِفَّة وسجله في كفة، فترجح كِفَّة لا إله إلا الله التي في تلك البطاقة، وهو حديث صحيح.

١- أخرجه أحمد (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وابن حبان (٢٢٥)، والبيهقي في الشعب (٢٧٩)، والحاكم (٩)، والطبراني في: «الأوسط» (٤٧٢٥)، والبغوي في شرح السنة (٤٣٢١) : عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الله سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ الله شَيْءٌ». هذا لفظ الترمذي، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

وذكر حديث المسند وفيه: وَلَو أَن السَّمَوَات السَّبع وَالْأَرضين السَّبع كن فِي حَلقَة مُبْهمَة فصمتهن لَا إِلَه إِلَّا الله: وفي ضبط: (قصمتهن لَا إِلَه إِلَّا الله) وهذا أخرجه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والطبراني في الكبير(١)، قال الألباني: إسناده صحيح(٢).

أما حديث عبد الله بن عَمْرو عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ يَا رب عَلمنِي شَيْئا أذكرك وأدعوك بِهِ..؛ أخرجه أحمد وضعفه الألباني(٣).

- المتـن:

وَهِي الَّتِي تخرق الْحجب حَتَّى تصل إِلَى الله عز وَجل، وَفِي التِّرْمِذِيّ عَن عبد الله بن عَمْرو عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله لَيْسَ لَهَا دون الله حجاب حَتَّى تصل إِلَيْهِ.

- الشـــرح:

الْحُجُب: جمع حجاب.

١- أخرجه: أحمد (٦٥٨٣)، والبخاري في: «الأدب المفرد» (٥٤٨)، والطبراني في: "الكبير" (١٣/ ٧).

٢- قال الألباني في: «الصحيحة» (١٢٣): وهذا سند صحيح. وقال أيضاً: (قصمتهن) . وفي رواية (فصمتهن) بالفاء. قال ابن الأثير: "القصم: كسر الشيء وإبانته، وبالفاء كسره من غير إبانة". قلت: فهو بالفاء أليق بالمعنى. والله أعلم.

٣- أخرجه: النسائي في: «عمل اليوم والليلة» (٨٣٤)، والحاكم (١٩٣٦)، وأبو نعيم في: «الحلية» (٨/ ٣٢٧)، والبغوي في: «شرح السنة» (١٢٧٣) وضعفه الألباني في: «تحقيق كلمة الاخلاص» (١/ ٥٨)، وفي التعليقات الحسان (٦١٨٥).

الحديث أخرجه الترمذي[1]؛ وإن كان معناه صحيح، لكن الحديث ضعيف، كما أشار إلى ذلك الألباني.

- المتــن:

وَفِيه أَيْضا عَن أبي هُرَيْرَة عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: مَا قَالَ عبد لَا إِلَه إِلَّا الله مخلصا إِلَّا فتحت لَهُ أَبْوَاب السَّمَاء حَتَّى تُفْضِي إِلَى الْعَرْش مَا اجْتنبت الْكَبَائِر.

ويروى عَن ابْن عَبَّاس مَرْفُوعا: مَا من شَيْء إِلَّا بَينه وَبَين الله حجاب إِلَّا قَول لَا إِلَه إِلَّا الله كَمَا أَن شفتيك لَا تحجبها كَذَلِك لاتحجبها شَيْء حَتَّى تَنْتَهِي إِلَى الله عز وَجل.

وَقَالَ أَبُو أُمَامَة: مَا من عبد يهلل تَهْلِيلَة فينهنها شَيْء دون الْعَرْش

- الشـــرح:

حديث أبو هريرة رضي الله عنه؛ إسناده حسن، كما قال الألباني[2] رحمه الله تعالى ولا شك يا إخوة أن ما كان له من ذلك الفضل، وهي أصل ما دعا الله سبحانه وتعالى إليه، ودعا إليه رسوله صلى الله عليه وسلم؛ أن يُعمل به فهي بلا شك تكون أقرب الحسنات، وأعظم الحسنات، وأقرب ما يكون إلى الله سبحانه وتعالى ولا شك أنها لا يحجبها عن الله سبحانه وتعالى شيء، فإن سائر الأعمال قد يدخلها شيء من الأمور التي قد تحجب وتمنع حصول فضالها من إعجاب النفس، والبغي وغير ذلك، والمنَّة، ونحو هذه الأشياء، لكن التوحيد الخالص لا يحجبه عن الله سبحانه وتعالى شيء.

١- أخرجه: الترمذي (٣٥١٨)، وضعفه الألباني في: «تحقيق كلمة الاخلاص» (١/ ٥٨).

٢- أخرجه: الترمذي (٣٥٩٠)، وانظر: «تحقيق كلمة الاخلاص» للألباني (١/ ١/ ٦٠).

وحديث ابن عباس؛ أخرجه ابن سمعون في الأمالي[١].

- المتـن:

وَهِي الَّتِي ينظر الله إِلَى قَائِلهَا ويجيب دَعَاهُ خرج النَّسَائِيّ فِي كتاب الْيَوْم وَاللَّيْلَة من حَدِيث رجلَيْنِ من الصَّحَابَة عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ لَهُ الْملك وَله الْحَمد وَهُوَ على كل شَيْء قدير مخلصا بهَا روحه مُصدقا بهَا لِسَانه إِلَّا فتق لَهُ السَّمَاء فتقا حَتَّى ينظر إِلَى قَائِلهَا من أهل الأَرْض وَحق لعبد نظر إِلَيْهِ أَن يُعْطِيهِ سؤله.

- الشـــرح:

هذا الحديث قال الألباني: إسناده صحيح[٢].

بلا شك أن أعظم ما يسأل العبد ربه سبحانه وتعالى؛ هو توحيده عز وجل.

وأشير هنا إلى مسألة وقضية، قد جاء التوسل بالأعمال الصالحة، وجاء جواز ذلك، وهنا لطيفة وهي: أن التوسل بالأعمال الصالحة؛ هو توسل بعبادة العبد لربه سبحانه وتعالى وعبادة العبد لربه سبحانه وتعالى توحيد، فالأمر راجع إلى توحيد الله سبحانه، فالعبادات الصالحة كلها توحيد، فتوسل العبد بالأعمال الصالحة هو توحيد، توسل بالتوحيد، والتوحيد إفراد لله سبحانه وتعالى بالعبادة، ومنه تعلم في هذه اللطيفة أيضًا كون أن الأعمال

١- أخرجه: ابن سمعون في: : «الأمالي» (١/ ١٩٢).

٢- قال في: «تحقيق كلمة الاخلاص» (١/ ٦١): إسناده صحيح. لكنه قال في الضعيفة (٦٦١٧):منكر بهذا التمام.
وكأنّه اشار رحمه الله إلى أن الصحيح منه ما جاء عند الترمذي من حديث أبي هريرة الذي مر معنا: مَا قَالَ عبد لَا إِلَه إِلَّا الله مخلصا إِلَّا فتحت لَهُ أَبْوَاب السَّمَاء حَتَّى تُفْضِي إِلَى الْعَرْش مَا اجْتنبت الْكَبَائِر. والله أعلم.

الصالحة تكون صالحة أن يتوسل بها، ولا يصلح أن يتوسل بالجاه، جاه الأنبياء، أو جاه الصالحين، أو بذواتهم، فإن ذلك ليس له متعلق بتوحيد الله سبحانه وتعالى بل لا يكون التعلق في ذلك إلا بما يكون لله سبحانه وتعالى توحيدًا وإفرادًا له سبحانه.

- المتــن:

وَهِي الْكَلِمَة الَّتِي يصدق الله قَائِلهَا، كَمَا أخرج النَّسَائِيّ، والترمذي، وَابْن حبَان، من حَدِيث أبي هُرَيْرَة، وَأبي سعيد، عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: إِذا قَالَ العَبْد لَا إِلَه إِلَّا الله وَالله أكبر؛ صدقه ربه، وَقَالَ: لَا إِلَه إِلَّا أَنا، وَأَنا أكبر، وَإِذا قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ؛ يَقُول الله: لَا إِلَه إِلَّا أَنا وحدي لَا شريك لي، وَإِذا قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ لَهُ الْملك وَله الْحَمد؛ قَالَ الله: لَا إِلَه إِلَّا أَنا لي الْملك ولي الْحَمد، وَإِذا قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بالله؛ قال الله: لا إله إلا انا وَلَا قُوَّة إِلَّا بِي، وَكَانَ يَقُول: من قَالَهَا فِي مَرضه ثمَّ مَاتَ؛ لم تطعمه النَّار[1].

- الشـــرح:

هذا الحديث حسنه الألباني[2]، وهو حديث عظيم، ينبغي تعلمه وتفهمه؛ أن تذكر الله سبحانه وتعالى فيصدقك الله عز وجل على ما تقول، هذا من أعظم الفضل الذي قد يناله العبد، ولو لم يكن لك في نفسك إلا أن تُصَدَّق من الله سبحانه وتعالى فكفى به مطلوبًا،

١- أخرجه الترمذي (٣٤٣٠)، والنسائي في: «عمل اليوم والليلة» (١/ ١٥١)، وابن حبان (٨٥١).

٢- قال في: «تحقيق كلمة الاخلاص» (١/ ٦١):حسن. وقال في الصحيحة (١٣٩٠): إسناده صحيح.

ومقصودًا فكيف إذا كان هذا راجعًا إلى أن تُفرد الله سبحانه وتعالى بها يستحق إجلالاً وتعظيمًا، ومحبة وذُلاًّ له سبحانه، وخوفًا منه، ورجاء لِما عنده عز وجل.

- المتــن:

وَهِي أفضل مَا قَالَه النَّبِيُّون؛ كَمَا ورد ذَلِك فِي دُعَاء يَوْم عَرَفَة.

- الشـــرح:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي يوم عرفة؛ لَا إِلَهَ إِلَّا الله[1].

- المتــن:

وَهِي أفضل الذّكر؛ كَمَا فِي حَدِيث جَابر الْمَرْفُوع: أفضل الذّكر لَا إِلَه إِلَّا الله. وَعَن ابْن عَبَّاس: أحب كلمة إِلَى الله لَا إِلَه إِلَّا الله لَا يقبل الله عملا إِلَّا بهَا.

- الشـــرح:

أفضل الذّكر لَا إِلَه إِلَّا الله: حديث حسن[1]، وهو بمعنى ما سبق في قوله: "أفضل مَا قَالَه النَّبِيُّونَ"

١- أخرجه: الترمذي (٣٥٨٥)، ومالك في: «الموطأ» (١٤٦٢)، والبيهقي في: : «الكُبرى» (٩٤٧٣)، وعبد الرزاق في: «المُصنَّف» (٨١٢٥): "خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" هذا لفظ الترمذي. وحسنه الألباني بشواهده، انظر: «الصحيحة» (١٥٠٣).

- المتـن:

وَهِي أفضل الْأَعْمَال، وأكثرها تضعيفا.

- الشـــرح:

تضعيفاً؛ يعني مضاعفة.

- المتـن:

وتعدل عتق الرّقاب، وَتَكون حرْزا من الشَّيْطَان.

- الشـــرح:

حِرْزًا: يعني حفظًا، فالمراد؛ أنها حفظ من الشيطان.

- المتـن:

وكما فِي الصَّحِيحَيْنِ عَن أبي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: من قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ، لَهُ الْملك وَله الْحَمد وَهُوَ على كل شَيْء قدير فِي يَوْم مائَة مرّة كَانَت لَهُ عدل عشر رِقَاب وَكتب لَهُ مائَة حَسَنَة ومحي عَنهُ مائَة سَيِّئَة وَلم يَأْتِ أحد بِأَفْضَل مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أحد عمل أَكثر من ذَلِك.

١- أخرجه: الترمذي (٣٣٨٣)، والنسائي في: «عمل اليوم والليلة» (٨٣١)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم في: «المستدرك» (١٨٣٤)، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ». قال الألباني: وهو صدوق يخطىء كما في "التقريب". وَقَالَ الْحَاكِمِ: صَحِيح الْإِسْنَاد.، وحسنه الألباني في: «الصحيحة» (١٤٩٧).

وَفِيهِمَا أَيْضا عَن أبي أَيُّوب الْأَنْصَارِيّ رَضِي الله عَنهُ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: من قَالَهَا عشر مَرَّات كَانَ كمن أعتق أَرْبَعَة أنفس من ولد إِسْمَاعِيل.

- الشـــرح:

وسبب تخصيص ذكر ولد إسماعيل؛ أن هذا النسل نسل كريم.

- المتـن:

وَفِي التِّرْمِذِيّ عَن ابْن عمر مَرْفُوعا من قَالَهَا إِذا دخل السُّوق وَزَاد فِيهَا يحيي وَيُمِيت وَهُوَ حَيّ لَا يَمُوت بِيَدِهِ الْخَيْر وَهُوَ على كل شَيْء قدير كتب الله لَهُ ألف ألف حَسَنَة ومحا الله عَنهُ ألف ألف سَيِّئَة وَرفع الله لَهُ ألف ألف دَرَجَة. وَفِي رِوَايَة: وَيَبْنِي لَهُ بَيت فِي الْجنَّة.

- الشـــرح:

وهذا مختلف في صحته[1]، وثبوته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

- المتـن:

وَمن فضائلها أَنَّهَا أَمَان من وَحْشَة الْقَبْر وهول الْحَشْر، كَمَا فِي الْمسند وَغَيره عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: لَيْسَ على أهل لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْشَة فِي قُبُورهم، وَلَا فِي نشورهم،

١- رواه أحمد (٣٢٧)، والترمذي (٣٤٢٩)، وابن ماجه (٢٢٣٥)، والبيهقي في: «الاسماء والصفات» (٢١٢)، والبزار (١٢٥)، والطيالسي (١٢)، والطبراني في: : «الدعاء» (٧٨٩)، والبغوي في: «شرح السنة» (١٣٣٨)، ورواه الحاكم في: «المستدرك» (١٩٧٥)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه وساق كلاماً طويلاً رحمه الله، كما في: «الصحيحة» (٣١٣٩).

وَكَأَنِّي بِأَهْل لَا إِلَه إِلَّا الله قد قَامُوا يَنْفضونَ التُّرَاب عَن رؤوسهم وَيَقُولُونَ {الْحَمد لله الَّذِي أذهب عَنَّا الْحزن}.

- الشـــرح:

أسأل الله أن يذهب عنا وعنكم جميعًا الحزن، وأن يحفظنا وإياكم، ويمتعنا بأبصارنا، وأعمارنا، وتوحيدنا وأن لا يميتنا إلا عليه.

هذا الذي ذكره الحديث الذي في المسند ضعيف[1].

- المتـن:

وَفِي حَدِيث مُرْسل من قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله الْملك الْحق الْمُبين كل يَوْم مائَة مرّة كَانَت لَهُ أَمَانًا من الْفقر وأنسا من وَحْشَة الْقَبْر واستجلبت لَهُ الْغنى واستفرغت لَهُ بَاب الْجنَّة.

١ – لم أجده في مسند أحمد. رواه: الطبراني في: «المعجم الأوسط» (٩٤٧٨)، وفي: «الدعاء» (١٤٨٤): من طريق؛ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ الله عَنْهُما، عن النبي صلى الله عليه وسلم .. الحديث. ورواه ابن بشران في: «الأمالي» (٧٤٣)، والبيهقي في: «البعث والنشور» (٨٣)؛ من طريق؛ الْحَسَنُ بْنُ قُرْعَةَ، عن بُهْلُول بْن عُبَيْدٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ به مرفوعاً، وفي: «الشُّعَب» (٩٩) وقال الْبَيْهَقِيُّ: تَفَرَّدَ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَرُوِيَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ ضَعِيفٍ. ورواه ابن حبان في: «المجروحين» (١٥٧): وقال: بهْلُول بْن عبيد شيخ يسرق الْحَدِيث لَا يجوز الِاحْتِجَاج بِهِ بِحَال روى عَن سَلمَة بن كهل عَن نَافِع عَن ابن عُمَر مرفوعاً، وَهَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ حَدِيث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بن أسلم عن أبيه عَن ابن عُمَرَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ لَيْسَ بِشَيْءٍ فِي الْحَدِيثِ. وقال الألباني في: «الضعيفة» (٣٨٥٣): ضعيف جداً.

- الشـــرح:

هو ضعيف[١]، ولكن هذا كله يا إخوة بلا شك ولا ريب؛ يكون لعموم النصوص الأخرى، فأعظم ما يكون سببًا لذهاب وحشة القبر "لا إله إلا الله" وأعظم ما يكون سببًا للأمان يوم الحشر والنشور "لا إله إلا الله" والتوحيد. والأمان من الفقر بلا شك ولا ريب التوحيد، وإن كان يجمع فيه العبد بين توحيد الألوهية من وجه، وتوحيد الربوبية من وجه، وتوحيد الأسماء والصفات من وجه، والأنس من وحشة القبر، واستجلاب الغني هذا كله بلا شك يكون في توحيد الله سبحانه وتعالى، ولا أعظم من أن يستجلب العبد كل ذلك من توحيد الله سبحانه.

- المتـن:

وَهِي شعار الْمُؤمنِينَ إِذا قَامُوا من قُبُورهم
قَالَ النَّضر بن عَرَبِيّ بَلغنِي أَن النَّاس إِذا قَامُوا من قُبُورهم كَانَ شعارهم لَا إِلَه إِلَّا الله
وَقد خرج الطَّبَرَانِيّ حَدِيثا مَرْفُوعا ان شعار هَذِه الْأمة على الصِّرَاط لَا إِلَه إِلَّا أَنْت.

- الشـــرح:

هذا ضعيف، ضعفه الألباني[٢].

١- أخرجه: أبو نعيم في: «الحلية» (٨/ ٢٨٠) وضعفه الألباني في: «تحقيق كلمة الاخلاص» (١/ ٦٤).

٢- رواه: الطبراني في: «الأوسط» (١٦٠)، وفي: "الدعاء" (١٤٨٧): «شِعَارُ أُمَّتِي إِذَا حُمِلُوا عَلَى الصِّرَاطِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». وضعفه الألباني في: «تحقيق كلمة الاخلاص» (١/ ٦٥)، وانظر: "السلسلة الضعيفة" (١٩٧٢).

- المتــن:

وَمن فضائلها أَنَّهَا تفتح لقائلها أَبْوَاب الْجنَّة الثَّمَانِية يدْخل من أَيهَا شَاءَ، كَمَا فِي حَدِيث عمر عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِيمَن أَتَى بِالشَّهَادَتَيْنِ بعد الْوضُوء وَقد خرجه مُسلم. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَن عبَادَة بن الصَّامِت رَضِي الله عَنهُ، عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: من قَالَ أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ، وَأَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله، وَأَن عِيسَى عبد الله وَرَسُوله وكلمته أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَم وروح مِنْهُ، وَأَن الْجنَّة حق، وَالنَّار حق؛ أدخلهُ الله من أَي أَبْوَاب الْجنَّة الثَّمَانِية شَاءَ.

- الشـــــرح:

بلا شك هذا يوضح لك ما سبقت الإشارة إليه في ما قد يكون لأهل التوحيد من الفضائل والأجور.

- المتــن:

وَفِي حَدِيث عبد الرَّحْمَن بن سَمُرَة عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي قصَّة مَنَامه الطَّوِيل وَفِيه قَالَ: وَرَأَيْت رجلا من أمتِي انْتهى إِلَى أَبْوَاب الْجنَّة فأغلقت الْأَبْوَاب دونه، فَجَاءَتْهُ شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله فتحت لَهُ الْأَبْوَاب وأدخلته الْجنَّة.

- الشـــــرح: وهذا ضعيف[1].

١- رواه: ابن بشران في: «الأمالي» (٢٤٩)، وابن شاهين في: «فضائل الأعمال» (٥٢٦)، ضعفه الألباني في: «تحقيق كلمة الاخلاص» (١/ ٦٧)، وقال في: «الضعيفة» (٧١٢٩): منكر جداً. اضطرب فيه الرواة سنداً ومتناً واتفق الحفاظ المتقدمون ومن سار سيرهم من المتأخرين على استنكاره وتضعيفه. وخالفهم بعض المتأخرين ضاربين بذلك القواعد

- المتـن:

وَمن فضائلها أَن أَهلهَا وَأَن دخلُوا النَّار بتقصيرهم فِي حُقُوقهَا فأنهم لَا بُد أَن يخرجُوا مِنْهَا، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَن أنس عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: يَقُول الله عز وَجل وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وكبريائي وعظمتي لأخرجن مِنْهَا من قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله

- الشـــرح:

يعني؛ أن الله سبحانه وتعالى يخرج من النار من قال "لا إله إلا الله" وهذا أيضًا سبقت الإشارة إليه، والكلام عنه بشيء من التفصيل.

- المتـن:

وَأخرج الطَّبَرَانِيّ عَن أنس عَن النَّبِي صلى الله قَالَ: إِن نَاسا من أهل لَا إِلَه إِلَّا الله يدْخلُونَ النَّار بِذُنُوبِهِمْ، فَيَقُول لَهُم عَبدة اللات والعزى مَا أغْنى عَنْكُم قَول لَا إِلَه إِلَّا الله، فيغضب الله لَهُم فيخرجهم من النَّار فَيدْخلُونَ الْجنَّة[1].

وَمن كَانَ فِي سخطه يحسن فَكيف يكون إِذا مَا رَضِي لَا يسوي بَين من وَحده وَإِن قصر فِي حُقُوق تَوْحِيده وَبَين من أشرك بِهِ.

العلمية التي منها: (أن الحديث لا يتقوى بالطرق الواهية، ولا بالمضطرب إسناداً ومتناً) ، مع أوهام متنوعة كثيرة وقعت لبعضهم؛ يستقل بعضهم بها، ويقلدهم آخرون في بعضها.

١ - رواه: الطبراني في: «الأوسط» (٧٢٩٣).

- الشـــرح:

يقول المصنف: ومن كان في سخطه يُحسن فكيف يكون إذا ما رضي، لا يسوي بين من وحَّده وإن قصر في حقوق توحيده وبين من أشرك به؛ سبحانه ما يكون منه ذلك أبدًا: أن يسوي بين من وحده سبحانه وتعالى وبين من أشرك به سبحانه.

- المتــن:

قَالَ بعض السّلف: كَانَ ابراهيم عَلَيْهِ السَّلَام يَقُول: اللهمَّ لَا تشرك من كَانَ يُشْرك شَيْئا بِمن كَانَ لَا يُشْرك بك.

- الشـــرح:

يعني لا تجعلهم سواء.

- المتــن:

كَانَ بعض السّلف يَقُول فِي دُعَائِهِ: اللهمَّ إِنَّك قلت عَن أهل النَّار أَنهم {وأقسموا بِاللهِ جهد أَيْمَانهم لَا يبْعَث الله من يَمُوت} النحل (٣٨) وَنحن نقسم بِاللهِ جهد أَيْمَاننا ليبْعَثن الله من يَمُوت اللهمَّ لَا تجمع بَين أهل الْقسمَيْنِ فِي دَار وَاحِدَة.

- الشـــرح:

قال سبحانه وتعالى في أهل النار: {وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ}؛ هذا القَسَم الأول.

ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت؛ وهذا القَسَم الثاني [١].

اللهم لا تجمع بين أهل القَسَمَين في دار واحدة.

- المتـن:

كَانَ أَبُو سُلَيْمَان يَقُول: إِن طالبني ببخلي طالبته بجوده وَإِن طالبني بذنوبي طالبته بعفوه وَإِن أدخلني النَّار أخْبرت أهل النَّار أَنِّي أحبه.

- الشـــرح:

العبد وإن قصر في حق الله سبحانه وتعالى يبقى حب الله سبحانه وتعالى في قلبه؛ هذا الذي ينبغي، وهذا الذي يجب أن يكون، فلا تدع تقصيرك في حق الله سبحانه وتعالى يزيدك تقصيرًا غيره، ولا تجعل ضعفك في السير إلى الله سبحانه وتعالى يجرك إلى ضعف أشد منه وأكبر منه، لذلك كثير من الناس تجد عنده شيء من التقصير لكن مع ذلك تجده محبًّا لله سبحانه وتعالى محافظًا على الصلاة، محافظًا على الطاعات، ويقصر مع ذلك في شيء من طاعة الله سبحانه وتعالى، وبعض الناس يدركه ما يكون من الألم والحسرة فيجعل ذلك سببًا لأن يبتعد عن طاعة الله سبحانه وتعالى، وعن مراضي الله سبحانه وتعالى، والعبد ما ينبغي إلا أن يكون محسن الظن بالله سبحانه وتعالى وإن قصر في شيء من الطاعات، لا يزال في هذا الطريق سالكًا له لعل الله سبحانه وتعالى إن اختار له أن يعذبه بشيء من الذنوب فلعله أن يخرجه ولو بعد حين من ذلك العذاب، فيصدق في توحيده لله سبحانه وتعالى.

١- كما في تمام الآية: «بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» النحل (٣٨).

- المتـن:

مَا أطيب وَصله وَمَا أعذبه ... وَمَا أثقل هجره وَمَا أصعبه

وَفِي السخط والرضى ما أهيبه ... الْقلب يُحِبهُ وَإِن عذبه ...

وَكَانَ بعض العارفين يبكي طول ليله وَيَقُول إِن تعذبني فَإِنِّي لَك محب وَإِن ترحمني فَأَنِّي لَك محب. العارفون يخَافُونَ من الْحجاب أَكثر مِمَّا يخَافُونَ من الْعَذَاب.

- الشـــرح:

والحجاب؛ أن يكون بين الله سبحانه وتعالى وبين معرفته والتلذذ بطاعته، حجاب، فترى القلب محجوبًا عن لذة الطاعة، وعن لذة المداوة على ذكر الله سبحانه وتعالى والتلذذ بذلك، والنعيم بذلك، هذا من أعظم الحجاب، وهو من أعظم العذاب الذي يكون للعبد في هذه الحياة الدنيا، وأعظم من بلاء العبد في الولد والنفس والمال وغير ذلك، أعظم شيء أن يحجب هذا القلب عن الله سبحانه وتعالى.

- المتـن:

قَالَ ذُو النُّون: خوف النَّار عِنْد خوف الْفِرَاق كقطرة فِي بَحر لجي.

كَانَ بَعضهم يَقُول: إلهي وسيدي ومولاي لَو أَنَّك عذبتني بِعَذَابِك كُله كَانَ مَا فَاتَنِي من قربك أعظم عِنْدِي من الْعَذَاب.

قيل لبَعْضهِم: لَو طردك مَا كنت تفعل؟ فَقَالَ:

إِذا أَنا لم أجد من الْحبّ وصلا ... رمت فِي النَّار منزلا وَمَقِيلا

ثمَّ أزعجت أَهلهَا بندائي ... بكرَة فِي عرصاتها وَأَصِيلا

معشر الْمُشْركين ناحوا على من ... يَدعِي أَنه يحب الجليلا
لم يكن فِي الَّذِي ادَّعَاهُ محقا ... فجزاه بِهِ الْعَذَاب الطويلا .

- الشـــرح:

إِذا أَنا لم أجد من الْحبّ وصلا ... رمت فِي النَّار منزلا وَمَقِيلا؛ وهذا البيت خطأ، ولا ينبغي أن يقال إذا لم أجد أن الله سبحانه وتعالى قد وصلني بمحبته؛ فإنني سأطلب مكانًا لي في نار جهنم: هذا خطأ، فالعبد يطلب ما عند الله سبحانه وتعالى من فضله وجوده، وسعة رحمته سبحانه وتعالى ولا ينقطع رجاء العبد عن الله سبحانه وتعالى، والعبد ما ينبغي عليه أن يقنط من رحمة الله سبحانه وتعالى.

- المتــن:

إخواني، اجتهدوا الْيَوْم فِي تَحْقِيق التَّوْحِيد، فانه لَا يُنجي من عَذَاب الله إِلَّا إِيَّاه، مَا نطق الناطقون إِذْ نطقوا أحسن من لَا إِلَه إِلَّا الله

مَا نطق الناطقون إِذْ نطقوا ... أحسن من لَا إِلَه إِلَّا هُوَ
تبَارك الله ذُو الْجلَال وَمن ... أشـــهد أَن لَا إِلَه إِلَّا هُوَ
من لذنوبي وَمن يمحصها ... غَيْرك يَا من لَا إِلَه إِلَّا هُوَ
جنان خلد لمـــن يوحده ... أشـــهد أَن لَا إِلَه إِلَّا هُوَ
نيرانـــه لَا تحـــرق من ... يشْـــهد أَن لَا إِلَه إِلَّا هُوَ
أقولهـــا مخلصا بِلَا بخل ... أشـــهد أَن لَا إِلَه إِلَّا هُوَ.

- الشـــرح:

وبهذا ختم رحمه الله تعالى هذه الرسالة، بشهادة أن "لا إله إلا الله" والدعوة إلى تحقيقها، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يختم لي ولكم بـ "لا إله إلا الله" وأن يجعلها خاتمة أعمالنا، وأن لا يختم لنا إلا على توحيده وعلى مَحَابِّه ومراضيه، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يختم لنا في خاتمة هذه الرسالة بخير ما قد يختم سبحانه وتعالى لعبد آمن به، وعمل بما يرضيه، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقني وإياكم لما يحبه ويرضى.

وأختم بالشكر لمركز رياض الصالحين على إقامة هذه الدورة النافعة، كما أتقدم بالشكر الجزيل لدائرة الشؤون الإسلامية والأوقاف بدبي، وأسأل الله سبحانه وتعالى لهم الفضل من عنده سبحانه وتعالى وأسأل لهم القبول.

والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☎ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【 تيك توك TikTok 】

https://tiktok.com/@baynoonanet

【 Vk في كي 】

https://vk.com/baynoonanet

【 Linkedin لينكدان 】

https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية

【 Reddit ريديت 】

https://www.reddit.com/user/Baynoonanet

【 chaino تشينو 】

https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a

【 Pinterest بنترست 】

https://www.pinterest.com/baynoonanet/

【 Snapcha سناب شات 】

https://www.snapchat.com/add/baynoonanet

【 تطبيق المكتبة 】

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/33uUnQr

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/WNbvqL

【 تطبيق الموقع 】

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/2Zvk8OS

لأجهزة الأندرويد

-قريباً بإذن الله-

【 البريد الإلكتروني 】

info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】

http://www.baynoona.net/ar/

شرح رسالة

كلمة الإخلاص

للإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي

رحمه الله تعالى

أيها الأحبة، بين أيدينا هذه الرسالة القيمة في بيان هذا المعنى العظيم، الذي يتعلق بإخلاص العبادةُ لله سبحانه وتعالى، وتفسير هذا المعنى، وكيفية تحقيقه، وهو ما يفتقر إليه كل عبد من العباد ولا ينفك عنه، وهو أعظم الحاجات، وأعظم معاني الفقر التي جعلها الله سبحانه وتعالى لزامًا لكل مخلوق من الإنس والجن؛ أن يكون محتاجاً إلى ربه سبحانه، فأعظم ذلك وَأَوَّلُه وَأَوْلاه؛ ذلك الإيمان الذي رأسه إخلاص الدين لله سبحانه وتعالى.

الشيخ حامد بن خميس الجنيبي

للمزيد من التفريغات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي

https://www.baynoona.net/ar/all-tafrighat